وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر - بسكرة -

كلية الآداب و اللغات

قسم الآداب و اللغة العربية

الأغراض الشعرية في ديوان ابن زمرك الأندلسي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب و اللغة العربية

تخصص : أدب عربي قديم

إعداد الطالبة :

- حنان يحياوي

إشراف الأستاذ الدكتور :

- امحمد بن لخضر فورار

السنة الجامعية :

1435 / 1436هـ

2014 / 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

قال الله تعالى:

اقرأ باسم ربّك الذي خلق (1) خلق الإنسان من علق (2) اقرأ وربّك الأكرمُ (3) الّذي علّم بالقلم (4) علّم الإنسان مالم يعلم (5)

صدق الله العظيم

سورة العلق: الآية 1-5

شكر و عرفان

تبارك الذي أهدانا نعمة العقل و أناره لنا بنور العلم و مهّد لنا طريق النجاح بكل تقدير و عرفان .

أتقدم بجزيل الشكر و العرفان إلى الأستاذ المشرف

" امحمد بن لخضر فورار " على ما قدمه لي من توجيهات و مساعدات و إرشادات أفادتني أثناء إنجاز هذا العمل .

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى جميع الأساتذة الكرام في كلية الآداب و اللغات.

و أخيرا نشكر كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد

و إن كنا عاجزين عن شكر الجميع فعند الله خير الجزاء و أوفر .

مقدمة

يعد الشعر أحد جوانب الحضارة العربية الأندلسية، بما يعبّره عن قوالب هذه الحضارة ومضامينها و طبيعة الحياة فيها، إذ بلغ ذروة تطوره و إزدهاره في عصر بني الأحمر، وهو لم يتوقف عند الشعراء المحترفين فقط، وإنّما شاركهم في ذلك نخبة من الأمراء و الوزراء و الكتّاب و الفقهاء، ولعلّ ابن زمرك الغرناطي أوضح الأمثلة على هذا فهو شاعر نال كثيرا من الإهتمام في الدراسات الخاصّة بتاريخ الأدب وبما أنّ ديوانه يعكس ملامح عصره و يحتوي على العديد من الأغراض الشعرية التّي تميّزه عن غيره من الأشعار، حاولت دراسته من ناحيتين موضوعاتيّ و فنية.

فجاءت الدّراسة مُعنونة ب: الأغراض الشعرية في ديوان ابن زمرك الأندلسي.

وحاولت في هذه الدراسة الاجابة على العديد من الأسئلة منها :

- من هو الشاعر ابن زمرك ؟
- ماهي أهم الأغراض الشعرية المتناولة في ديوانه ؟

وقد وقع إختياري على هذه الشخصية بالذات لعدّة دوافع أذكر:

- حب التعرف على التراث الأدبي الأندلسي عامة و الشعري خاصّة .
- إبراز جمالية و خصائص النص الشعري في ديوانه .
- تسليط الضوء على القصائد المنقوشة على أسوار الحمراء بالخط العربي و الكوفي .

وقد استقام البحث على مدخل متضمنا دراسة موجزة مركّزة حول البيئة التي عاش فيها ابن زمرك مفصلة الحديث عن الجانب السياسي و الإجتماعي و الأدبي. ثمّ عرجت إلى

الحديث عن حياة الشاعر نظرا للعلاقة الكائنة بين البيئة و الحياة و التي تُعد علاقة تفاعل متبادل.

وافتتحت الفصل الأول بدراسة موضوعية متضمنة لأهم الأغراض الشعرية المتناولة في ديوانه حيث كانت هذه الأغراض مزجا بين التقليد الذي كان له الحضور الأوسع و الأبرز (المدح، الوصف، الغزل، الرثاء، الخمريات) وبين الحديث (شعر النقوش، التهنئة، الإستعطاف).

وخصص الفصل الثاني في الدراسة الفنيّة من خلالها بينت لغة الشاعر لما تحمله من ألفاظ الطبيعة و الحزن و الألم، و إقتباسه من الموروث الديني و الأدبي، ومن ثمّ دراسة الصّورة الفنية ووسائل تشكيلها و أنماطها الحسيّة، وأخيرا دراسة الموسيقى الداخلية و الخارجية، وختمت البحث بما توصلت إليه من نتائج.

وقد إقتضى موضوع البحث ان أتبع المنهج التاريخي و الوصفي التحليلي و الفني .

وتعتبر المصادر و المراجع سند علمي يوضح لنا ماهو غامض . من هذه المصادر و المراجع نذكر : (نفح الطيب ، أزهار الرياض) للمقري، (اللّمحة البدرية، الكتيبة الكامنة الإحاطة في أخبار غرناطة) للسان الدين بن الخطيب، (العمدة) لابن رشيق القيرواني ،(نقد النثر) لقدامة بن جعفر،(حياة وآثار ابن زمرك ، شعره و موشحاته) لحمدان حجاجي، (أمراء الشعر الأندلسي) لعيسى خليل محسن ،(الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية) لامحمد بن لخضرفورار.

وصادفتني جملة من الصعوبات فمن أشد الصعوبات التى واجهتني فى بحثي هذا ضخامة ديوان الشاعر. اذ كانت أخباره منشورة في العديد من الكتب واعتمدت بشكل كبير على ديوانه.

وأخيرا أحمد الله الواحد الأحد الذي وفقني لما يحب ويرضى، إنّه نعم المولى ونعم النصير، كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير لأستاذي و موجهي الدكتور الفاضل امحمد بن لخضرفورار الذي اهتم بي من بداية البحث إلى نهايته فجزاه الله كل خير ثمّ الشكر موصول لعضوي المناقشة ، بالإضافة قسم اللغة العربية وآدابها و كلّ من ساهم في هذا البحث من قريب أو بعيد.

مدخل :بيئة الشاعر وحياته

أولا : بيئته

1 -البيئة السياسية.

2 -البيئة الإجتماعية.

3 -البيئة الأدبية.

ثانيا : حياته:

1 - نشأته و تكوينه.

2 - أخلاقه وصفاته.

3 - إنتاجه الشعري.

4 - معاداته لابن الخطيب.

5 - السنوات الأخيرة من حياته.

أولا : بيئة الشاعر

خلال القرن الرابع عشر ميلادي الموافق للقرن الثامن هجري ، شاء القدر أن تحقق الجيوش المسيحية إنتصارات عديدة في غزوها الجيوش الإسلامية . وهذا ما أدّى إلى إستيلائها على معظم القطر الإسباني لكن توقف غزوها أمام مملكة غرناطة ، فرغم وجود الفتن و الصراعات تصدّى بنو الأحمر لكلّ هذه الهجومات و إستطاعوا إيقاف العدو، لكن في هذا العصر عرفت الأندلس تناقظا جليا في مظاهر حضارتها فمن جهة تسجل إنحطاطا سياسيا و عسكريا ومن جهة أخرى ازدهارا ثقافيا و حضاريا ونحن في حديثنا عن مملكة بني الأحمر سوف نتطرق الى طبيعة الحياة فيها من عدّة جوانب:

1ــ الهيئة السياسية:

كانت الأندلس تشهد حالة من الفوضى و الاضطراب بعد زوال الموحدين منها ولم يستطع محمد بن هود صاحب بطيليوس أن يصمد في وجه ملوك الإسبان فاستولى الإفرنج على قرطبة سنة 633هـ ــ 1235م. ولم يبق للمسلمين غير إمارة واحدة هي إمارة غرناطة[1] التي صمدت نحو قرنين ونصف من الزمان تدافع ببسالة وبكل قوة [2]. ويعرف بنو الأحمر ببني نصر عميد هذه القبيلة محمد بن يوسف النصري المعروف بابني

1- سامي يوسف أبوزيد : الأدب الأندلسي ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، ط1 ، عمان ، الأردن 2012م - 1433هـ ص 32 .

2- سعيد أحمد غراب : أطياف من تاريخ الأدب العربي و نصوصه في الأندلس ، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع ، ط1 ، القاهرة ، 2010، ص22.

الأحمر[3]، كان مقداما يقول بن سعيد : { كان من عجائب الدهر في الفروسية والاقدام و السعادة في لقاء العدو}[4].

أدرك محمد الأول أن سقوط غرناطة يعني سقوط آخر مملكة إسلامية في الأندلس لذلك واجه ملك قشتالة فرناندوا الثالث ، الذي أرسل ابنه الفونسو في حملة عسكرية نواحي جيان. ثم قام ابن الأحمر بحصار قلعة مرتش جنوب غرب جيان [1]، " لكن رُفع حصاره مع بداية حصار الفونسو على غرناطة ،نفسها وبمساعدة بنو مرين في المغرب عقدت هدنة بين ابن الأحمر و فرناندو الثالث ، انتهت بتحديد الاطار الجغرافي لمملكة غرناطة ودفع ضريبة سنوية. ولم يزل الأمر على حاله إلى أن هُلك الشيخ ابن الأحمر سنة 671هـ ، ووُلي بعده إبنه محمد الفقيه وأوصاه بإستصراخ بني مرين إن طرقه أمر أن يعتضد بهم . ولما إغتنم الفقيه فرصة قيام صراع داخلي بقشتالة ، إستصرخ بيعقوب بن عبد الحق سلطان فاس و المغرب سنة إثنين وسبعين فأجاب صريخه و أرسل ابنه و عساكره معه [2]"، و حقق إنتصارات عديدة حوالي 4 مرات . ممّا دفع ملك قشتالة الى طلب الصلح وقبوله برفع الضرائب عن المسلمين وعدم التعرض أو الإساءة لهم.

وبما أن الحكم وراثي تولى الحكم فيما بعد نصر بن محمد الثالث { 708هـ ـ713هـ/1308م ـ1313م}. تمكن من هزيمة ملك قشتالة فرناندو الرابع ، كما تمكن محمد الرابع { 725هـ ـ 733هـ/1325م ـ1332م} من الإنتصار على ملك قشتالة

3- فاطمة عمراني : المدائح النبوية في الشعر الأندلسي ، المجمع العالمي لأهل البيت ، ط1 ، (د ، ب) ، 1428هـ ، ص 38.

4- عيسى خليل محسن : أمراء الشعر الأندلسي ، دار جرير للنشر و التوزيع، ط1، عمّان، الأردن، 2007، ص303.

1- فرحات يوسف شكري : غرناطة في ظل بني الأحمر ، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع ، ط1 ، بيروت ، 1982 م ، ص 25 .

2- أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج1، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1415هـ - 1995م ، ص 428.

الفونسو الحادي عشر [3].وبعده خلفه يوسف الأول { 733هـ ـ 755هـ/1332م ـ 1354م}.

و إستمرت مواجهة مملكة قشتالة إلى حين وصول الخلافة لمحمد الخامس (755هـ - 793 هـ / 1354 هـ - 1391 م) ، و فيها قُسّمت خلافته على مرحلتين ، الأولى (755 هـ - 760هـ / 1354م - 1359م)، و الثانية (763هـ - 793 / 1362 م - 1391 م). و تفصل بينهما 3 سنوات فرّ فيها محمد الخامس مع ابن الخطيب نحو الدولة ، و عند عودته حاول مواجهة كل الهجومات التي تتعرض لها غرناطة و هذا بمساعدة المماليك في مصر [1]. و لكن غيرة وحسد بعض القادة أدّى الى زرع و بث الفتنة بين ابن الخطيب و محمد الخامس فغادر ابن الخطيب و توجه نحو السلطان المريني، و أخذ مكانه إبن زمرك لكن نار الفتنة لم تخمد فقد أشعل أيضا ابن الخطيب الفتنة بين سلطان الدولة المرينية و محمد الخامس، فإقترح على عبد العزيز بضم غرناطة أيضا ، لكن هذا لم يلبث طويلا فقد تمكّن محمد الخامس من القبض على ابن الخطيب و تعذيبه و مصادرة امواله[2].

ثم خلف محمد الخامس محمد السادس و هو آخر الحُكّام الأقوياء (795هـ - 810هـ / 1393 - 1407 م)، و بعده حكم يوسف الثالث (810هـ - 1407 م) و بعده محمد السابع (820هـ - 858 هـ / 1417م -1454 م) الذي إعتمد على عائلة عريقة ساعدته على الحكم " عائلة بنوسراج " [3]، لكن لم ينجح الأمر و ضعُفت غرناطة في عهده و عهد سعيد بن إسماعيل (858هـ - 868 / 1454- 1463 م) . ثم خلف

3- محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس و تاريخ العرب المنتصرين ، مكتبة الخانجي ، ط3 ، القاهرة ، 1966م ، ص 106.

1- محد عبد الله عنان : نهاية الأندلس و تاريخ العرب المنتصرين ، المرجع نفسه ، ص 142 ،

2- أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المصدر السابق ، ص 321.

3- المصدر نفسه : ج 4 ، ص 209 .

الحكم أبو الحسن علي " الغالب بالله " (868 هـ - 892 / 1463 م - 1487 م).

عُرف أبو الحسن بالبسالة و الإقدام و حظي بمكانة عالية من القوة و الصمود في وجه الأعداء ، و كانت أوائل حكمه تبشر بذلك ، فقد سأل المهادنة من ملك قشتالة فرديناندو و ايزبيلا فأجاباه شريطة أن يعترف بسيادتهما ، لكنه أبى هذا الإعتراف ثم طلب فرديناند الجزية و الخضوع له و رفض أبو الحسن و قال لهم : " إذهبو و أخبرو من أرسلكم أن الملوك الذين كانوا يؤدّون الجزية قد ماتو من زمن طويل ، و أنّ دار الضرب في غرناطة عادت لا تضرب ذهبا و لا فضّة ، و لا تضرب إلا سيوفا و حرابا " [5] لكن النزاعات والصراعات بلغت ذروتها بين الأب أبي الحسن و ابنه أبو عبد الله و أخيه أبا عبد الله المعروف " بالزغل ". فعند خروج أبي الحسن لملاقاة عدوه فرديناند في حربه الثانية يعود منها مهزوما ، فيجد أهل غرناطة قد بايعو إبنه أبو عبد الله إبن زوجته الاولى عائشة ، التي أخذت أولادها و رحلت الى وادي آش و هو المكان الذي بويع فيه الولد [2]. فيجد أبو الحسن أبواب المدينة أُقفلت في وجهه فيميل إلى مدينة بسطة و يبقى بها . و بعد أن صار الحكم في يد أبو عبد الله خرج لمحاربة النصارى فوقع أسيرا بين ايديهم فرجع الوالد الى الحكم مرة ثانية و طالب فرديناند بالاعتراف بسلطانه مقابل إطلاق سراح ابو عبد الله ، و هذا من أجل إشعال نار الفتنة بين الأب و الإبن . و بالفعل صار إنقسام بين مؤيد و معارض ، فنصف الناس مع الوالد و النصف الآخر مع الابن ، و لمّا نال الكبر من أبو الحسن و أصيب بالعمى خلعه اخوه أبا عبد الله و إستلم الحكم ، و لمّا سمع الناس بهذا الخبر هاجو على أبو عبد الله و بايعوا عمه ، فهرب أبو عبد الله إلى قرطبة مستغيثا بالملك فرديناندو و ايزبيلا ، ثم رجع بعد مدة و عاد الصراع بين العم و ابن الاخ ، و لكن الحل

1- عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية (د، ط) ، بيروت ، لبنان ، (د ، ت) ، ص 121.

2- عيسى خليل محسن : أمراء الشعر الأندلسي ، المرجع السابق ، ص 46_ 47

الوحيد أدى الى إنقسام الملك بينهما ، و هذا ما أدّى إلى ضعف مملكة غرناطة فعوض أن يكون الصراع بين مملكة غرناطة و بين مملكة قشتالة أصبح الصراع داخلي في غرناطة نفسها[3]. و عندما رأى الزغل بلاده تُسلّم الواحدة تلوى الأخرى ، قرّر تسليم ما بيده للملك و الملكة بدل تسليمها لإبن أخيه ، و من شرفات قصر الحمراء رأى أبو عبد الله أنّ العدو يقترب شيئا فشيئا منهم ، فعقدو إجتماعا مع أعيان غرناطة فوصلو إلى قرار ألا و هو تسليم المملكة ، و لكن إعترض هذا القرار الأمير موسى بن أبي الغسّان ، و بينما هم يتشاورون إقترب العدو أكثر وأحاطوا بالمملكة ،فعقدوا مجلسا آخر حضر فيه أكابر القواد وحماة الحصون والفقهاء ،و أعيان القوم وسألهم رأيهم في الأمر فاستخلصوا إلى تسليم غرناطة،وعند مطلع شمس يوم 2 من يناير 1492م. إلتقى الملكان بالسلطان أبوعبد الله الشقي بجانب جامع صغير قريب من النهر وهناك سلّماه إينه وسلّمهم مفاتيح غرناطة قائلا: (هذه المفاتيح هي آخر مابقى من سلطان العرب في إسبانيا خذها فقد أصبح لك ملكنا ومتاعنا وأشخاصنا،كما قضت مشيئة الله تعالى) ومضى أبو عبد الله إلى أهله عند مرقب عال يشرف على غرناطة وأخذ يودع مدينته الجميلة متأملا في أبراجها وقلاعها ومنائرها وبينما هوعلى هذه الحال إذ بالدخان قد إرتفع فوق القلعة وإذ بأصوات المدافع تدوّي في الفضاء ،إيذانا بأن غرناطة دخلت بحوزة الإسبان ،فصاح أبو عبد الله وأجهش بالبكاء فقالت له أمه عائشة:

إبكِْ مِثْل النِّساء مُلْكا مُضَاعًا لمْ تُحافِظْ عليه مِثْل الرِّجالِ[1]

3- عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، المرجع السابق ، ص 122 – 123

1- سامي يوسف أبو زيد : الأدب الأندلسي ، المرجع السابق ، ص 33 .

وهكذا إنطوى سقوط غرناطة آخر صفحة من تاريخ الاسلام بالاندلس ، وزال ملك العرب من بلاد خلّفوا وراءهم آثارهم وحضارتهم ،بعد أن عمروها ثمانية قرون من سنة92 هـ 898 هـ 710 م 1492 م[2] .

2ـ الهيئة الإجتماعية:

شهدت غرناطة تطورا كبيرا في مختلف مناحي الحياة الإجتماعية ،و هذا راجع لتميز مجتمعها بصفات خاصّة تكشف عن طباعهم و أخلاقهم و عاداتهم المألوفة . و ممّا يلفت الإنتباه إعتزاءهم الشديد بالنظافة ، و شهد لهم بذلك عدد كبير من المؤرخين من بينهم المقرّى الذي ذكرهم في هذا الباب بقوله : " و أهل الأندلس أشد خلق الله بنظافة ما يلبسون و ما يفرشون"[1] و هذا ما أدّى بملوكها و أهلها إلى إنشاء حمامات بشكل كبير . حيث إذا نظرت إليها تبهرك لما تحمله من روعة الزخرفة و الجمال بصهاريجها الملونة ، و قببها المضيئة و روائحها العطرة و نقوشها الرائعة . و عند تـأملنا لموقع هاته الحمّامات نجدها مقترنة بالمساجد لأن المجتمع الغرناطي خاصّة و الأندلس ي عامة يعتبرونها عادة متصلة بالإسلام. فقبل دخول المسجد على الإنسان أن يغتسل أولا و يتطهر. و رغم حرصهم على هذه النظافة إلا أنّ كوارث الطاعون قد إكتسحت مدينة غرناطة ، و كان يسمى في ذلك الوقت بالطّاعون الأسود الذي سود حياتهم و جعلها ظلماء لا نور فيها ، حيث أدّى إلى موت العديد من الأشخاص خاصّة الطبقة الفقيرة الخالية من المناعة و تعاني من نقص التغذية ، و لم يسلم من هذا أيضا الخبراء و العلماء كإبن الجياب الى جانب هذا الطاعون

2- امحمد بن لخضر فورار : من شعراء الأندلس و مختارات من شعرهم ، جامعة محمد خيضر ، ط1 ، بسكرة ، الجزائر ، 2013 ، ص 276 .

1- أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج3 ، المصدر السابق ، ص 156

عرف الغرناطيون أمراض عديدة غير قابلة للشفاء كمرض الج ذام ، البرص ، النقرس ، الجدرى ، العمى ، الحصبة ، البواسير ، السبل ، الرمد ، الظفرة ، القوق .

و أمراض خفيفة كالسعال و الفواق و داحس [2]. و في عام 1348م إنتشر مرض إلتهاب الرئة بالإضافة إلى مرض الجنون و الصرع ، الذين كانا خطيران على المجتمع فخُصِّصَ لهما مراكز خاصة تعتني بهما . و لايزال إلى اليوم متحف الحمراء يحتفظ بلوحة حجرية نقش عليها تاريخ إنشاء (المارستان) الذي بناه محمد الخامس ، و خصصت لهاته المؤسسة الخيرية إيرادات. و من السلاطين الذين أصيبوا بمرض يشبه الصرع ، السلطان النصري أبا الحسن علي بن سعيد لم ينفعه أي علاج ، و كانت أغلب الأدوية مستخلصة من الأعشاب و النابانات و الحشائش كالعنصل ، القاقلة ، الوشق ، الحليت ، المرقد ، اللوغاذيا و الإيطريفل .

بالإضافة إلى أنّهم كانوا يذهبون الى مجمّعات الماء الساخن التي كانت تعرف بالحامة و هي نافعة للأمراض الجلدية و المفصلية .[1]

و من أهم المقومات الأساسية للحياة في غرناطة المنزل الغرناطي ، فهو أحد معالمها الحضارية و نال نصيب وافر من الإهتمام قال إبن خلدون " إنما هو من منازع الحضارة التي يدعوا إليها الترف "[2]. فقد إعتنوا بجمال المنزل و تأثيثه ، فكانت جدران غرف النوم تزين بستائر من حرير و تغطّى الأرضية بالسجّاد الفاخر خصوصا منازل الطبقة العالية. أمّا منازل العامة فكانت جدرانها عارية و الأرض مفروشة بالبسط و

2- – أحمد ثاني الدوسوري : الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر بني الأحمر ، المجمع الثقافي (د ، ط) ، أبو ظبي ، 2004 ، ص 90- 91 .

1- المرجع السابق ، ص 91 .

2- عبد الرحمان بن محمد إبن خلدون : المقدمة ، دار الجيل مكتبة الهلال (د ، ط) بيروت ، 1986 ، ص 342.

الحصير[3]. و للعلم أن هذا المجتمع له تركيبة خاصة يتكون منها ، ف فيها من الأجناس العربي و البربري و الإفريقي و فيها الجنس الإسباني و الصقل بي. و نشأت في طبقات إجتماعية متمايزة ، فيها الطبقة الأرستقراطية الغنية التي بمثلها الأسر النافذة على المستوى الإجتماعي والإقتصادي والسياسي . وقد مالت هذه الطبقة إلى البذخ في طريق الريّاس ومجالس اللهو و الخمر والموسيقى والغناء ، واقتناء الجواري والغلمان ، ويضاف لهذه المجموعة صغار الملاكين ورجال العلم والثقافة ،أما الطبقة الثانية فهي الطبقة الوسطى وهي الغالبة،والطبقة الأخيرة هي طبقة الفقراء الذين يكدّون في العمل ويخدمون أسيادهم ليلا نهارا للحصول على لقمة العيش. أما الطبقة الفريدة من نوعها وتتميز عن الطبقات الثلاث هي : طبقة العلماء والفقهاء الذين لهم كلمة في البلاد، يسرتفع إليهم كبار الحكّام. و كانوا يُكرّمون ويُحترموم من قبل الجميع[1]. و إجتمعت على ساحة هذه الطبقات من الناحية العقيدية : الاسلام والمسيحية و اليهودية والغالب أن مذهبهم مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة.

أماشكلهم قيل عنه، صورهم حسنة و أنوفهم معتدلة غير حادة وشعورهم سود ، وقدودهم متوسطة معتدلة الى القصر ألوانهم زهر مشربه بحمرة ، ألسنتهم فصيحة عربية يتخللها غرب

كثير.[2] لباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشي بينهم الملف المصبوغ شتاءًا ، وتتفاضل أجناس البزز بتفاضل الجدات و المقدار والكتان و الحرير و القطن و الأردية الافريقية

3- فرحات يوسف شكري : غرناطة في ظل بني الأحمر ، المرجع السابق ، ص 126 .

1- المرجع السابق ، ص 89 – 96 .

2- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : عبد الله عنان ، م1 ، مكتبة الخانجي ، ط2 ، القاهرة 1393هـ – 1973م ، ص 134.

والمقاطع التونسية والمآزر المشفوعة صيفا . فتبصرهم في المساجد كأنهم أزهار مفتحة ، حيث كانوا ولعين بتطريز وتزيين ملابسهم.[3]

كانت للمرأة مكانة مرموقة في المجتمع الغرناطي ، فهي جزء لا يتجزأ منه ، تمارس معظم المهن وتشتهر بالأناقة و التحرر و الإختلاط بطبقات المجتمع ، فالحريم هنا موصوف بالسحر ، واعتدال السمن وتنعم الجسوم وإسترسال الشعور.

أما الجانب العمراني المتمثل في المباني المختلة ، كالمساجد و القصور و الدور و القناطر و قصر الحمراء الذي مازال باقيا مزينا بالنقوش هي دالة على فن و مهارة رائعة.[1]

أعيادهم متنوعة يحتفلون بعيد الفطر و الأضحى ، و بأيام العصير عند جني محصول العنب و التين. وقد أشتهر الأندلسيون بكونهم مزارعين مهرة و من الدرجة الأولى بالتنويع و التفنن في مزروعاتهم و حفر الأقنية للمياه ، و الإكثار من أنواع الزراعة و خاصّة الأشجار.[2]

3ــ الهيئة الأدبية :

ما إن بدت الأوضاع السياسية تستقر في مملكة غرناطة،حتى أخذت الحركة الفكرية تخطوا نحوالتألق والإزدهار ، وكان ملوك بني الأحمر من حماة العلوم والآداب،بحيث كانوا هم في طليعة الأدباء والعلماء، مما يؤيد ذلك ماذكره ابن الخطيب في كتابه اللمحة

3- المصدر نفسه ، ص 244 .

1- عبد الرحمان علي الحجي : التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حت سقوط غرناطة ، دار القلم ، ط2 ، بيروت ، 1981م ، ص 52 .

2- فرحات يوسف شكري : غرناطة في ظل بني الأحمر ، المرجع السابق ، ص 143 .

البدرية أن محمدا الفقيه(آثر العلماء من الأطباء والمنجمين والحكماء والشعراء) فالعلم عندهم مقدّر والعالم معظّم من الخاصة والعامة ،قال المقرّي (وسمة الفقيه عندهم جليلة)[3]. وقدأشار المستشرق الهولندي دوزي إلى أن كل فرد في الأندلس كان يعرف القراءة والكتابة ، وأنهم حرصوا على تعليم أبنائهم وبناتهم منذ الصغر، وكان هنالك في كل بيت مكتبة خاصّة، إضافة إلى المكتبات العامة التي كان يعمل فيها أمهر المجلدين ، ال رسّامين والمصححين[4] ، كما حرصوا على نقل العلوم من بلاد المشرق ، و إستقبال ماحمله إليهم المشارقة بالتبجيل، مماترتب عليه ظهور أعداد غفيرة من علماء الأندلس في شتّى مجالات الثقافة العربية الإسلامية.[1] فقد كان للعلوم الشرعية القدح المحلي بين سائر المعارف وذلك لحاجة المجتمع الدائمة إليها، لأنها بمثابة قوانين لذا راح أولوا الأمر من بين بني الأحمر يشجعون العلماء ، و يحيزون الفقهاء من بينهم الفقيه : إبراهيم بن موسى ، محمد بن اللخمي الشاطي صاحب " الإعتصام " و " الموافقات " و كلمة الفقيه لا تقال للعامة .

يقول المقري : (الأندلسين يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه ، لأنها عندهم أرفع السمات).

كما نجد الشعراء يمثلون بيئتهم الأندلسية، و نزعاتهم الذاتية، دون أن يتخلصوا من القديم أو يهملوه إهمالا تاما ، و من معالم تطور القصيدة التخلص من قيودها التقليدية التي تتجلى في فن الموشحات ، و هو فن أندلسي بإمتياز . و فتن الشاعر بجمال الطبيعة فأخذ يصف

3- أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج3 ، المصدر السابق ، ص 157 .

4- عمر إبراهيم توفيق : الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس ، موضوعاته و فنونه ، ددار غيداء للنشر ، ط1 ، العراق 1433هـ - 2012م ، ص 29 .

1- سعيد أحمد غراب : أطياف من تاريخ الأدب العربي و نصوصه في الأندلس ، المرجع السابق ، ص 31، 33.

إقليمه و دياره التي عاش فيها ، و أبدع الأديب الأندلسي في كتابة القصة الفلسفية. [2] كما حفل عصر بنو الأحمر ببعض الدواوي ن الشعرية ، كديوان إبن زمرك ، لسان الدين بن الخطيب و ديوان إبن خاتمة الأنصاري . أما التاريخ و الجغرافيا فقد إتسع الـتأليف فيها ، و ظهر أقطاب في هذا المجال أبرزهم : إبن خلدون و تاريخه يغني عن الإشادة به ، و صديقه لسان الدين بن الخطيب الذي أرخ للأندلس و المغرب . و في علم الفلك ظهر يحي بن رضوان الذي وضع قصيدة في هذا العلم بعنوان " المنظوم من علم النجوم " و كذلك كانت غرناطة فيها نهضة علمية في مجال الطب أمثال : محمد بن إبراهيم الأنصاري ، يحى بن هذيل حكيم و فيلسوف ، محمد الشقوري طبيب دار الإمارة بغرناطة صاحب كتاب " تحفة المتوسل و راحة المتأمل " .

ثانيا : حياة الشاعر

1- نشأته و تكوينه :

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد المعروف بإبن زمرك [1]، ولد سنة 14 من شوال 733 هـ 9 جوان 1333م . و هي نفس السنة التي بويع فيها سابع سلاطين بني الأحمر أبي الحجاج يوسف .[2] ولد بحي البيازين لأسرة هاجرت إليها من شرقي الأندلس وهي أسرة فقيرة متواضعة كان أبوه حسب ماقال ابن الخطيب (حمّ الا مكاريا حدادا

2- سامي يوسف أبو زيد : الأدب الأندلسي ، المرجع السابق ، ص 45 .

1- عمر إبراهيم توفيق : الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس ، المرجع السابق ، ص 230 .

2- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان إبن زمرك ، تحقيق : محمد توفيق النيفر ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت 1997 ، ص 7 .

3- أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب ، ج7 ، المصدر السابق ، ص 161 .

بالبيازين).[3] وبسبب فقر وعجز أسرته لاق ابن زمرك صعوبات جمّة منعته من التمتع بما يتمتع به أطفال سنّه و لاحلّ سوى تعلم مهنة أبيه ليخلفه في معمله، لكن هذه المهمة تتطلب القدرة البدنية وابن زمرك كان نحيل الجسم قصير القامة [4]، وهذاما أدى بوالده إلى توجيهه إلى الكتّاب و لازم حلقات التدريس و لم يبلغ حد وجوب المفترضات إلا و هو متحمل الرواية و ملتمس لفوائد الدراية ، مُصابح كل يوم أعلام العلوم و مستهد بمصابيح الحدود العلمية و الرُّسوم .[5] و إفتتح أبواب الكتب النحوية بالإمام أبي عبد الله ابن الفخار الأية الكبرى في فن العربية و تردد إلى قاضي الجماعة أبي القاسم شريف فأحسن الإصغاء ، و إهتدى في طريق الخطبة و مناهج الصوفية بالخطيب المعظّم أبي عبد الله بن مرزوق ، و أخذ علم الأصليين عن الحافظ الناقد أبي علي منصور الزواوي ، و ا قتدى في العلوم العقلية بالشريف أبي عبد الله التلمساني قدوة الزمان كما كان ابو عبد الله بن بيبش العبدري الأستاذ الذي لازمه إبن زمرك للأخذ عنه في النحو ، و بعد أن تضلّع في النحو و اللغة إلتفت إلى علم الحديث فكان أول من لقّنه مبادئ هذه المادة هو أبو البركات بن الحاج [1]. بالإضافة إلى العديد من الشيوخ أمثال الإمام المعظّم أبي محمد عبد الله بن جزي ، و معلمنا الثقة المجتهد أبي عبد الله الشريشي و القاضي الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن علاق و غيرهم[2]. أما تكوين ابن زمرك في الأدب و الشعر فإنه يرجع إلى الأستاذ أبا عبد الله اللوشي الخطيب البليغ و الذي إمتد صيته إلى بغداد ، شعره شهير الإجادة و طراز مذهب على عاتق المجادة، و الأستاذ الثاني لابن زمرك كان لسان الدين بن الخطيب وزير

4- أحمد بن محمد المقري التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق : مصطفى السقا ، ج2 مطبعة فضالة المغرب ، ص 14 .

5- المصدر نفسه ، ص 15 .

1- حمدان حجاجي : حياة و آثار ابن زمرك ، ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب ، (د، ط) ، الجزائر 1989 ، ص 31 .

2- أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلسي الرطيب المصدر السابق ، ص 166.

الإمارة المشهور[3]، كان أستاذه في شتّى الميادين ، إنتبه إلى ذكائه و مواهبه الفطرية أقرّ بأنه ذو طرف في الإدراك اللعوب بأطراف الكلام المشقق ، فارس النظم ثم النثر و ينبوع الحلاوة[4]. و قال في حقه: " هو الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس و أفراد نجبائها ، شعلة من شعل الذكاء ثقيب الذهن ، أصيل الحفظ بعيد مدى الإدراك جيد الفهم " [5]. و بهذا قرّبه إليه و ساعده و فتح له الطريق و أسقط

الحواجز التي تعترض سبيله ، و أوصله إلى البلاط المريني ، و ألحقه بدواوين الإمارة و كفل له راتبا حسنا[6]. و قد صرّح شاعرنا بفضل أساتذه عليه فمدحه قائلا:

و بوّأْتني من ذَرْوَةِ العزِّ مُعْتَلِي .... و شرَّفْتَنِي مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَ لَا أَدْرِي

و سَوَّغْتَنِي الآمال عَذْبًا مُسَلْسَلًا .... و أَسْمَيْتَ مِنْ ذِكْرِي و رَفَعْتَ مِنْ قَدْرِي

و بفضل هؤلاء العلماء و القادة صار ابن زمرك صدرًا في نوادي طلبة الأندلس و أفراد نجبائها ، بالإضافة إلى حفظه للقرآن الكريم و هذا مما إ شرتدّ عوده و أثبت تفوقه و أزاح اللّثام عن شاعريته.[1]

2- أخلاقه و صفاته :

3- عيسى خليل محسن : أمراء الشعر الأندلسي ، المرجع السابق ، ص 303 .

4- لسان الدين بن الخطيب: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: محب الدين الخطيب، م1 ،المطبعة السلفية، القاهرة ، 1347ه ، ص118.

5- – لسان الدين بن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 301 .

6- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات الأندلس، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1989ص 207 .

1- الزرقاني محمد عجاج : الدراسات الأدبية ، مراكز المناهج التعليمية و البحوث التربوية ، (د ، ط) ، ليبيا ، 2014 _ 2015 ، ص 179 .

كان يتمتع بشخصية جذابة غنية و يتميز ب الأخلاق المحمودة ، اللباقة و حسن المعاشرة و ابن الخطيب و ابن الأحمر متفقان على الإعتراف له بالفضل و إنشراح الصدر و عذوبة الحديث و لطا فةالسلوك . ممن أصبح من أولئك الذين يطيب البقاء في رفقتهم و الجلوس إلى جانبهم ، و من جهة أخرى فإنه يشهد له بالتقوى و التمسك بالدين فكان يُعدّ من الذين إذا ذكر إسم الله أمامهم فاضت عيونهم دموعا ، ومن الذين يتصبب جبينهم عرقا إذا إستمعوا إلى الموعظة [2]. فكان يفضل أن يقضي معظم أوقاته في رفقة الصالحين الأتقياء العابدون الحامدون الساجدون الراكعون . و قد أكد إبن الخطيب على عفته و صفاء سريرته [3]، و هو ينفرد بخفة الروح . آدابه مستميلة و خلقه لولا الخبث و الغدر جميلة. [4]

له 3 صفات يتصف بها ألا وهي : 1 "الفقيه " يُقال { هو المكثر في مسائل الفقيه و القائم بالأصول ، المستعمل من معرفة المنطق } . 2 " الرئيس الناثر" فقد أشاد ابن الخطيب بتفوق ابن زمرك في الكتابة (خطّا و إنشاءا) ، أمّا ابن الأحمر فوصفه بأنّه (علم الكتابة) 3 " الشاعر " إذ نوّه ابن الخطيب بشاعريته حيث وصف شعره بأنّه مترام إلى هدف الإجادة و الإجادة هي القصائد التي تطول .[1]

3- إنتاجه الشعري :

2- أحمد بن محمد المقري التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 16 .

3- حمدان حجاجي : حياة آثار إبن زمرك ، المرجع السابق ، ص 36 .

4- لسان الدين بن الخطيب : الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة (د ، ط) ، بيروت ، 1983 ، ص 283 .

1- المصدر نفسه ، ص 283 .

لم يكن ابن زمرك وزيرا فحسب بل كان شاعرا مجيدا و موشحا مغلقا حيث سمي شاعر الحمراء، تلك الحمراء التي تعد من أثمن النشرات في العالم لمختارات شعرية من قصائد ابن زمرك حيث أنتج الشاعر كثيرا أثناء حياته البلاطية الطويلة وقد افتخر بنفسه لعدد القصائد التي نظمها في حق الغني بالله و هذا في المدح باستثناء الأغراض الشعرية الأخرى[2]. ولم يهتم بجمع شعره في حياته ، بل اهتم بهذا المؤرخ ابن الأحمر بعد وفاة ابن زمرك وهذا لتخليد ماقيل عن مآثر الدولة النصرية بصفة عامة وعن جده الغني بالله بصفة خاصة وهكذا توفر لديه ديوان ضخم سماه (البقية و المدرك من شعر ابن زمرك). فالبقية على حد تعبيره قلما بقي بعد هلاكه و تخطته الحوادث و شح الدهر بإمساكه ، و المدرك لأجل ماتركه في مبيضاته و لم يخرجه في حياته [3] ، و قدّم هذا الديوان و فهرسه الدكتور أحمد سليم الحمصي و صدر في طبعته الأولى عن المكتبة العصرية بلبنان سنة (1418هـ 1998م) وضمنه 2455 بيت شعر من نظم ابن زمرك ، بالإضافة الى مخمسة واحدة و 15 موشحا .

جمع الدكتور الحمصي هذا الشعر من مصادر أشار اليها هي " الإحاطة في أخبار غرناطة" "أعمال الإعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الاسلام" ، "الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة" للسان الدين بن الخطيب و " العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" و " التعريف بابن خلدون و رحلته غربا و شرقا" لابن خلدون و " أزهار الرياض في أخبار عياض" ،" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" للمقري و " أعلام

2- حمدان حجاجي : حياة و آثار ابن زمرك ، المرجع السابق ، ص 58 .

3- حمدان حجاجي : شعر و موشحات الوزير ابن زمرك، المؤسسة الوطنية للكتاب و ديوان المطبوعات الجامعية ،(د. ط) الجزائر ، 1989 ، ص 7 .

المغرب و الأندلس في القرن الثامن" لأبي الوليد اسماعيل بن الأحمر، وتراوح شعره بين بيت واحد من قصيدة لم تذكرها المصادر و بين قصيدة عدد أبياتها 146 بيت ، أما الأوزان فكانت متنوعة منها الكامل بلغت أبياته 1071 بيت /الطويل 999 بيت /البسيط277بيت /الخفيف 15بيت /المجتث 12بيت /الوافر 7أبيات / السريع 5أبيات / المتقارب3أبيات /الرمل بيتان .

أما البحورالمجزوءة نذكر: مجزوء الكامل 28بيت /مجزوء الرمل 16بيت/مجزوء الرجز14بيت / مخلع البسيط 6أبيات.[1]

ونلاحظ أن ابن زمرك تعرض إلى جميع الأغراض المعروفة في الشعر العربي و كان الإطار لصياغتها القصيدة بمراحلها المعهودة من جهة و الموشحة بقوانينها من جهة أخرى و أن القسط الأوفر من شعره جاء في المدح ، وهذا مما لاغرابة فيه إذا ذكرنا المدة الطويلة التي قضاها شاعرنا بقصر الحمراء في خدمة الغني بالله .

4ــ معاداته لابن الخطيب:

كان ابن الخطيب وزيرا له ثقله ووزنه و مكانة عالية لدى الغرناطيين ، محبوبا لدى رئيسه محمد الخامس لكن رغم هذه المكانة المرموقة التي يحظى بها و رغم تمتعه بثروات طائلة وهائلة إلّا أنّه كان غير مرتاح البال ، خاشيا في كل لحظة أن تنفلت من يده كل هذه النعم و تحل به كارثة من الكوارث ، وهذا ماجعله ينظر إلى المغرب ويجد من يلجأ إليه في حال حدوث أي مكروه . وبهذا سعى لإرضاء المرينيين وتلبية حاجياتهم مما أدّى إلى إرتفاع منزلته لديهم ومن شدة خوفه على نفسه توجه الى الناحية الغربية قاصدا

1- خالد إبراهيم يوسف : الشعر العربي أيام المماليك و من عاصرهم من ذوي السلطان ، (د، د) ، ط1 ، بيروت ، لبنان 2003 ، ص 241.

سبتة و منها تلمسان حيث إستقبله السلطان المريني أبوفارس عبد العزيز إستقبالا حافلا، وعامله معاملة أعيان الدولة ثم توسل له عند الملك النصري في شأن أسرته التي التحقت ب،ه و هذا كان سنة 773هـ/ 1371م.[1] وهذا الحادث أثار ضجة كبيرة و كان وسيلة وفرصة من أجل إقناع الخليفة بالقضاء على ابن الخطيب و معاقبته معاقبة لا رحمة و لا شفقة فيها. و بالمقابل أقنع ابن الخطيب السلطان المريني بالإستيلاء على غرناطة فقرّر محمد الخامس الإنتقام من ابن الخطيب بأي شكل من الأشكال . و في نفس السنة تولّى ابن زمرك منصب الوزارة مكان أستاذه ابن الخطيب و هو في الأربعين من عمره فوقع ابن زمرك في حيرة بين قبول هذا المنصب وهي فرصة لا تتكرر وبين رفضه، فكان الحل هو اختيار المنصب فتأسف ابن الخطيب على تلك الأيام التي إعتنى فيها بهذا الرجل وبناه بناءا لايمكن تحطيمه وعد له أساسا يتركز عليه في حياته. فأراد إصلاح خطئه فصوّر ابن زمرك بأشنع الصور مؤكدا أنانيته و كتمانه للمعروف [2] فقال: " هذا الرُجيل و التصغير على أصله ، وإن لم يعب السهم صغُر نصله مخلوق من مكيدة على وحذر

و مفطور اللسان على هذيان و هذر خبيث إن شكر، خدع و مكر ودس في الصفو العكر".[1] فكان رد ابن زمرك محاولة إتهام ابن الخطيب بالزندقة من خلال مؤلفاته الصوفية فبُعث ابن زمرك إليه لتطبيق الحدّ لكن صدّه أبا العباس، فبعد الإجتماع الذي عُقد

1- حمدان حجاجي : حياة و آثار ابن زمرك ، المرجع السابق ،ص 46.

2- المرجع نفسه ، ص 46 .

1- المرجع نفسه ، ص 47 .

قرّر إرجاعه للسجن مرّة أخرى فبعث سليمان بن داود من قتله خنقا في السجن سنة 776هـ .[2]

5ـ السنوات الأخيرة من حياته:

نعم ابن زمرك بالوزارة عشرين عاما[3] ، لكن دوام الحال من المحال فقد عُزل و زُجّ في السجن حوالي عشرين شهرا أي ما يقارب سنة و نصف بمعتقل الميرية ، متذوقا ما أذاقه الغير من حرمان متأملا تقلبات الدهر فكتب أبيات يطلب إطلاق سراحه من أبا الحجاج فأمر هذا الأخير بالإفراج عن ه، فيرجع إلى الوزارة لكن لسوء حظه مات أبا الحجاج ولم ينته شهر رمضان حتى عزل من منصبه مرة أخرى . ثمّ تولى الخلافة محمد السابع الذي طلب من ابن زمرك تولي الوزارة فعاد بصورة مختلفة ، بمعنى أنه أراد جلب محبة الناس و إرجاع الثقة به مرة أخرى فأبدى التواضع و حسن المعاملة ، و الرزانة في أقواله و أفعاله لكن هذا لم يمكث طويلا فقد عاد الى عادته القديمة ، و نسي أن محمد السابع ليس كمحمد الخامس وأن عمره في الستين ليس كعمره في الأربعين فقام ب إتهام البعض بذنوب لم يقترفوها و أساء للبعض الآخر فتكررت الشكاوي ضده ، فاهتزّت ثقة الملك به و تأكّد أنّ ابن زمرك يكيد له مكيدة و يتآمر عليه و لم تمر إلّا أيام قليلة حتى فوجيء ابن زمرك وهو ببيته ليلا بين أهله برواد الملك الغرناطي يجلدونه بالسيوف فقضي عليه وعلى من وُجد من خدّامه و إبنيه وكلّ هذا كان على نظير بناته و أهله

2- المرجع نفسه ، ص 50 .

3- عمر إبراهيم توفيق : الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس ، المرجع السابق ، ص 231.

سنة 795هـ.[1] يقول تعالى في كتابه العزيز بعد بسم الله الرّحمان الرّحيم (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).[2]

1- حمدان حجاجي : شعر و موشحات الوزير ابن زمرك ، المرجع السابق ، ص 7.

2- سورة الزلزلة ، آية 8 .

الفصـــل الأول : الأغراض الشعرية في ديوان ابن زمرك " دراسة موضوعية "

1 - المديح.

2 - شعر النقوش.

3 - الغزل.

4 - الوصف.

5 - الرثاء.

موضوعات أخرى

1 - التهنئة.

2 - الخمريات.

3 - الزهد و التصوف.

4 - الإستعطاف.

للشعر الأندلسي سمات مميزة و فنون مبتكرة و صور فاتنة و صوت رفيع، صال و جال في مختلف فنون القول و الإنشاد و ترك لنا تراثا نفسيا مميزا و متطورا . و بما أنه أدب كل أمة فهو جزء من كيانها و فرع من وجودها و أداة لتثقيفها ووسيلة لإحترامها [1]. و كل شعر له أغراض تميزه عن الشعر الآخر ، و هذا ما جعل شعر ابن زمرك له ميزات و صفات خاصة رفعت من شأنه ، فقد إحتوى على العديد من الأغراض الشعرية نذكر :

1- المديح :

المديح من الأغراض الشعرية التي تناولتها القصيدة العربية [2]، فقد حضي بإهتمام كبير من قبل الشعراء ، حيث عرّفه إبن منظور بأنه نقيض الهجاء و هو حسن الثناء يقال : مدحة واحدة و مدحه يمدحه مدحا ، و الصحيح أن المدح المصدر و المدحة الجمع . مدح و هو المديح و الأماديح ، و المدائح جمع المديح من الشعر الذي مدح به. [3] و جاء في أساس البلاغة للزمخشري : مدح مدحه و إمتدحه و ممتدح و ممدح يمدح بكل لسان ، و العرب تتمدح بالسخاء و هو يتمدح إلى الناس أي يطلب مدحهم .[4]

أما من الناحية الإصطلاحية فالمديح هو : تعداد لجميل المزايا ووصف للشمائل الكريمة و إضهار للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا [5] ، و هذا متفق مع

1- عيسى خليل محسن : أمراء الشعر الأندلسي ، المرجع السابق ، ص 14 .

2- قدامة بن جعفر : نقد النثر ، دار الكتب العلمية ، (ب ، ط) ، بيروت ، لبنان ، 1980 ، ص 81 .

3- إبن منظور أبو الفضل جمال الدين الأنصاري : لسان العرب دار صادر ، (ب ، ط) مادة " م ، د ، ج " بيروت ، لبنان ، (ب ، ت) ، ص 452 .

4- محمود بن عمر الزمخشري : أساس البلاغة ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، (ب ، ط) ، بيروت ، (ب ، ت) ، ص 324 .

5- جبور عبد النور : المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، ط2 ، بيروت ، 1984 ، ص 245 .

قول ابن الخطّاب رضي الله عنه حين قال : " خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته، يستميل بها الكريم و يستعطف بها اللئيم ". [1]

و ممّا يشير إلى قوة هذا الباعث قولهم : " لسان الشاعر أرض لا تُخرج الزهر حتى ينسكب المطر " [2].

الشاعر حسب إبن رشيق إذا مدح ملكا ، أن يسلك طريقة الإيضاح و الإشادة بذكره للممدوح وأن يجعل معانيه و ألفاظه نقية غير مبتذلة ، و يجتنب مع ذلك التقصير التجاوز و التطويل ، فإن للملك سآمة و ضجرا ربما عاب من أجلها ما لا يعاب و حرم من لا يريد حرمانه [3] ، فقد أكد إبن رشيق أن من إلتزم بهاته الشروط يقع مدحهم موقعا حسنا جميلا من القلوب و الألباب[4] .

و هذا هو شاعرنا سار على نفس المنهج الذي حدده إبن رشيق فممدوحه الغني بالله هذا الأخير فضله كان لا يعدّوا و لا يحصى على ابن زمرك ، إرضاءه بكل الطرق . فيبدأ ابن زمرك بلفت النظر إلى الأصل الشريف الذي ينتمي إليه الملك فهو يقرب بني نصر من الأنصار، و يجعل من هؤلاء أجداد الملك النصرى فيقول في هذا الصدد[5] :

1- أبو عمرو بن الجاحظ : البيان و التبين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ج2 ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة ، ط1 ، القاهرة ، 1961 ، ص 101 .

2- أبو القاسم الكلاعي : أحكام صنعة الكلام ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، (ب ، ط) ، بيروت 1966 ص 37 .

3- إبن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، تحقيق : محمد محي الدين ، ج1 ، دار الجيل للنشر و التوزيع ، ط5 ، بيروت ، لبنان ، 1401هـ - 1981م ، ص 168.

4- سالم عبد الرازق سليمان : ترسل الشعراء في الأندلس ، دار المعرفة الجامعية (ب ، ط) ، الإسكندرية ، 2008 ، ص 163 .

5- حمدان حجاجي : حياة و آثار ابن زمرك ، المرجع السابق ، ص 81 .

يَا إبْنَ الأُلَى أَجْمَالَهُمْ وَ جَمَالَهُم فَلِقُ الصَّبَاحِ وواَكِفُ الْأَنْوَاءِ

أَنْصَارُ دِينِ اللهِ حِزْبُ رَسُولِهِ و السَّابِقِينَ بِحِلْيَةِ العَلْيَاءِ

و إذا كان الغرض من المدح هو بيان الممدوح في أحسن صورة، و ذكر أهم خصاله النبيلة فإنّ ابن زمرك عرج لهذا الغرض ، و بيّن لنا أن الغني بالله ذو أخلاق كريمة و حسنة و دليله على ذلك قوله ذاكرا جود و كرم الملك [1]:

لِلَّهِ رِحْلَتُكَ التِّي نِلْتَا بِهَا أَجْرَ الجِهَادِ و نُزْهَةَ الأَبْصَارِ

أَوْرَدْتَنَا فِيهَا لِجُودِكَ مَوْرِدَا مُسْتَعْذِبَ الإيرَادِ وَ الإصْدَارِ

و يؤكد ابن زمرك على ما يتمتع به سيده من كمال و هي صفة من خصائص الله و رسوله ألا يجوز هذا في حق الغني بالله ، ألم يختر ليكون خليفة الله في الأرض فيقين شاعرنا بذلك يجعله يحمد الله على صنعه فيقول[2] :

لَكَ طُولٌ عَلَى الْمُلُوكِ وَ طَوْلُ بِحُلَى الفَخْرِ يَا طَوِيلَ الْنِّجَادِ

شَامِلٌ فَضْلُهُ جَمِيعُ العِبادِ شَامِخٌ مُلْكُهُ رَفِيعُ العِمَادِ

1- أحمد بن محمد المقري التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 27 .

2- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 109 .

و أراد إبن زمرك من خلال هذا أن يثبت أن الملك ذو بهاء و لمعان ، و لم يقف عند هذا وحسب بل أراد قول أنه بدر في كماله وهو كناية عن السمو و الهيمنة فالملك النصري مثل البدر يشرف على الكون عزّة و أبهة وهو كالنجم أيضا ، و ما يرمز إليه من بعد في السماء يجعلها في غير متناول اليد و بالتالي هي في رتبة مأمونة لكن ما يلفت النظر هو لمعانها يقول[1] :

هُمِ النُّجُومُ و أُفْقُ الهُدَى مَطْلَعُهَا فَوْزًا لِمُهْدِيهَا عِزًّا لهادِيهَا

أما ميزة القوة لها أهمية كبرى و لا سيما أنها تذكرنا أن الدولة النصرية تعيش فترة من الزمان يسود فيها الإضطراب و الحروب المتواصلة .[2] فكان من واجب الشاعر أن يبرز خصال الغني بالله في الكفاح لينتصر على أعداء يشكلون فعلا أخطارا في الداخل والخارج على المملكة. و ها هو إبن زمرك يقدم لنا ممدوحه دائما وسط معركة مترئسا جيوشه و لاعبا دورا أساسيا في تسيير القتال فيقول[3] :

فَفِي البَرِّ جُهِّزَت السُّيوفُ كأنَهَا بِحَارٌ بِأَمْواجِ الحَديدِ تَسيلُ

تَرامَتْ بِهَا الآسَادُ وَ هي فَوَارِسُ و ثارَتْ بها العُقْبَانُ و هي خُيولُ

و المديح عند إبن زمرك لم يقتصر على الجد فقط بل شمل السلاطين الآخريين و الوزراء و العلماء، فنجده أنشد أخينا السلطان أبي عبد الله قائلا:[4]

1- أحمد بن محمد المقري التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 25 .
2- حمدان حجاجي : حياة و آثار ابن زمرك ، المرجع السابق ، ص 100 .
3- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 105 .
4- المصدر نفسه ، ص 50 .

عامَلْتَ وَجْهَ اللهِ فَارْقُبْ نَصْرَهُ فَهُوَ الجَزَاءُ لِقَوْلِهِ " إنْ تَنْصُرُوا "

و عَقَدْتَ صُلْحًا أَصْدَرَ ثِقْ ع زّة فالدّينُ و الدُنْيا بِهَا تَسْتَبْشِرُ

و منه أيضا مدحه للسلطان أبا سالم ملك المغرب قائلا :[1]

عَلِمَت مُلُوكُ الأرْضِ أَنّك فَخْرُهَا فَتَسابَقَتْ لِرِضَاكَ في مَضْمَارِ

يَتبَوَّ ؤُونَ بِهِ و إن بَعُدَ المَدَى مِنْ جَاهِكَ الأعْلَى أَعزَّ جِوَارِ

أما المدح ذو المستوى العلمي إستطاع أن يكون صاحب حضور جيد بين مستويات المدح الأخرى في تلك الفترة ، و هذا راجع لعدة أسباب نذكر منها : إكتظاظ الساحة العلمية و الأدبية بكثير من العلماء الأفذاذ أمثال : عبد الرحمان إبن خلدون و هو الأمر الذي حدّا بشعراء تلك الفترة أن يكبّروا الجانب العلمي لديهم و الأدبي كذلك ودليل ذلك مدحه للعالم إبن خلدون قائلا[2] :

طَلَعْتَ بِ أُفقِ الشَّرْقِ نَجمَ هِدَايَةٍ فَجِئْتَ مع الأَنْوارِ فيه عَلَى وعْدِ

بَقِيتَ ابن خَلدُونٍ أَمَامَ هِدَايَةٍ و لازِلْتَ مِنْ دُنْياكَ في جَنَّةِ الخُلْدِ

1- أحمد بن محمد المقري التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج2 المصدر السابق ، ص 172 .

2- عبد الرحمان بن الخلدون : رحلة بن خلدون غربا و شرقا ، تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي ، دار الكتاب اللبناني ، (ب ، ط) ، بيروت ، 1979م ، ص 287- 290 .

و شاعرنا لا ينكر فضل إبن مرزوق و شهد له بأنه أستاذ كامل ما الكامل إلّا الله سبحانه و تعالى فقد شرّف إبن زمرك ، و لياليه أصبحت كليلة القدر الكريمية التي نزل فيها القرآن العزيز الحكيم فهي ليلة جليلة لها مقامها و مكانتها ، رسم طريقه و بعثه إلى جنة الخلد التي لقي فيها النعيم والسرور و الأماني و الحرية فيقول :[1]

أَلَا يَا إبن جَارِ الله يا إبْنَ وليِّهِ و نَاهِيكَ مِن فَخْرٍ و حَسْبُكَ مِنْ ذكر

لَقَدْ كُنْتَ فِي العِبَادِ شَمْسَ هِدَايَةٍ بتيِّنُ هُدَى الله فِي العُرْف و النُكْرِ

و بما أن إبن زمرك أعطى لكل ذي حق حقه فهو لم ينس الوزير و الأستاذ و الأديب و الشاعر المتألق لسان الدين إبن الخطيب ، الذي أقرّ بأنه فارس في النظم و النثر و طالب نجيب و يتمتع بالذكاء و الفهم ، فلبن الخطيب مهما قال فيه شاعرنا من مدح و مهما إعترف له بفضله عليه فهذا قليل.

وإبن الخطيب هو فخر لغرناطة و أهلها به صعدنا إلى العلا ، هو حام للعلم و دواء لكل داء به سهلت الحياة و تجنبنا الزمن الوعر اللئيم الخبيث يقول :[2]

جبرت مهيضًا من جَنَاحَيْ وَرْشَتِهِ و سَهَّلْتَ لِي مِنْ جَانِب الزَّمَن الوَعْرِ

إلى جانب هذا النوع من المدائح ظهر ما يسمى بالمدائح النبوية فقد إنتشرت بشكل غير طبيعي، وهذا راجع لتمسك بنوا الأحمر بدينهم فهم يحيون ذكرى ميلاد الرسول " صلى

1- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 295 .

2- أحمد بن محمد المقري التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 164 .

الله عليه وسلم " في كل عام ويستقبلون ذلك اليوم بكل فرح و إبتهاج و سرور ، فهو يذكرنا بسيد البشر و بفضله اللاّنهائي في تبليغ الرسالة و نشر الإسلام دين الرحمة و المغفرة فلم يفوت إبن زمرك فرصة وجوده في القصر الملكي، و إنشاده لمولدياته بمحضر الغني بالله فليلة الثاني عشر من ربيع الأول في كل عام يجتمع كل من الملوك و الشعراء و علية القوم ينظمون قصائد يلقونها في البلاط ،[1] حيث إعتمد إبن زمرك في مدح النبي "ص " على كتب السير و التاريخ فهو لم يخرج على نطاق ما قاله الكتاب الذين قبله و هذا راجع إلى العدد القليل الذي إحتفظ به من المولديات .

نجد شاعرنا قد أشار إلى بني هاشم و عدنان الذي ينتمي إليه الرسول الكريم و هذا بهدف الإشارة إلى المجد كما هو موضح في قوله :[2]

مِنْ هَاشِمٍ في سَمَاءِ العِزِّ مَطْلَعُهُ أَكْرِم بِهِ نَسَبًا بِالعِزِّ مُتَشَحًا

من آلِ عَدْنَانَ في الأَشْرَافِ مِن مَضَرَ مِن محتد تَطْمَحُ العَلْيَاءُ أَطْمُحَا

فالنبي عليه الصلاة و السلام إصطفاه الله على جميع العباد ، و أعطاه مكانة مرموقة و عالية لم يصل و لن يصل إليها أحد. و هذا ما أكده شاعرنا قائلا :[3]

و أَنْتَ حَبِيبُ الله خَاتِمُ رُسُلِهِ و أَكْرَمُ مَخْصُوصٍ بِزُلْفَى و رِضْوَانِ

1- أحمد سليم الحمصي : إبن زمرك الغرناطي ، سيرته أدبه ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، بيروت ، 1985م ، ص 132 .

2- حمدان حجاجي : شعر و موشحات الوزير إبن زمرك ، المرجع السابق ، ص 19 .

3- عيسى خليل محسن : أمراء الشعر الأندلسي ، المرجع السابق ، ص 305 .

يجول في ذهن الإنسان عدة تساؤلات منها كيف هو العالم دون وجود النبي صلى الله عليه وسلم؟ و كيف سيكون حال الإنسان من دون قدوة يقتدي بها أو أساس يرتكز عليه ؟ فيجيب إبن زمرك عن هذه الأسئلة بقوله :[1]

لَولَاكَ لَمْ يَكُ لِلْكَيانِ حَقِيقَةٌ و لَكَانَ بَابُ وُجُودِهَا مَقْفُولَا

لَوْلَاكَ لِلزَّهْرِ الكَوَاكِبُ لَمْ تَلُحْ مِثلَ الأَزاهِرِ مَا عَرَفْنَا ذَبُولاَ

لَوْلَاكَ لَمْ تَجُلْ السَّمَاءُ شُمُوسُهَا و لَكَانَ سَجْفُ ظَلَامِهَا مَسْبُولَا

و أعظم مدينتين في الوجود هما المدينة المنورة و مكة المكرمة لدورهما في حياة الرسول "صلى الله عليه وسلم". فالمدينة ذات شأن كبير و رفيع لأنها إستقبلت الرسول الكريم و عليها أن تفتخر بوجود ضريح خير البشرية فيها يقول شاعرنا :[2]

حَيْثُ الضَّرِيحُ بِمَا قَدْ ضَمَّ مِنْ كَرَمٍ قَدْ بْذَّ فِي الفَخْرِ مِنْ سَادٍ و من نجحا

1- حمدان حجاجي : حياة و آثار إبن زمرك ، المرجع السابق ، ص 133 .

2- حمدان حجاجي : شعر و موشحات الوزير ابن زمرك ، المرجع السابق ، ص 19 .

2- شعر النقوش :

تعد القصور و ما فيها من البرك و التماثيل و الصور و ما يحيط بها من الترع و البساتين و الأشجار و الأنهار ، من أبرز مضاهر الحضارة المادية الظاهرة في الأندلس و من أشهرها قصر الحمراء ، و نظرا لجمال الخط العربي إعتاد المسلمون كتابة آيات القرآن الكريم و أبيات الحكم و المواعظ على واجهات و جدران الجوامع و المساجد ، و قد تفنن الخطاطون في شكل خطوطهم و منحنياتها و لم يهتموا برسم الصور و التماثيل في أماكن العبادة لحرمتها شرعا. بينما تفنن الرسّامون في رسم الصور على قصور الأندلس و بدلا من كتابة الآيات القرآنية قاموا بكتابة قصائد مدحية عليها ، و هو عنصر جمالي غير مألوف في تسلق الشعر المنقوش و المزخرف على جدران القصور و التغني بأمجاد أصحابها.[1] و قد برزت هذه الأخيرة على قصور غرناطة و جنة العريف في عهد دولة بن الأحمر و على أقواسها التي تتخذ شكل حدوة حصان و المغطاة بالزليج ، و لقد كانت مزجا جماليا بأخذ الحسن من جمال الشعر و الخط الرائق و الفن المعماري الهندسي و أسلوبها الكتابي ذو نمط أندلسي و منحوتة و منقوشة بالجبس . و أشارت ماريا خسيوس بعد معاينتها لقصر الحمراء أن سائر القصائد الكبيرة على جدرانه لإبن زمرك [2]، فهو فارس هذا الميدان إذ برزت أشعاره في ساحة "بهو " و فناء نافورة نبع الأسود وغيرها [3]، لكن بقاء هذه النقوش على حالها أمر مستحيل نظرا للظروف المناخية .

1- عمر ابراهيم توفيق : الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس ، المرجع السابق ، ص 226- 228.

2- ماريا جيسيوس ، الأدب الأندلسي ، ترجمة: أشرف دعدود ، المجلس الأعلى للثقافة ، (د. ط) ، القاهرة ، 1999م ص 164 .

3- المرجع نفسه ، ص 161 .

يقول الشاعر :[1]

فَيَا ابنَ العُلَى و الحِلْمِ و البَأْسِ و النَدَى و من فَاقَ آفَاقَ النُجُومِ إذا إنْتَمَى

طَلَعْتَ بِأُفُقِ المُلْكِ آيَةَ رَحْمَةٍ لِتَجْلُو مَا قَدْ كَانَ بِالظُلْمِ أَظْلَمَا

ففي هذه الأبيات يؤكد أن صاحب السيطرة و الحكم هو إنسان ذكي ، لم يختر هكذا فقط بل لأنه في نظرهم إنسان حكيم، و ما يؤكد قوله إختياره لهذه الألفاظ (الحلم ، البأس ، الندى ، الظلم ، الرهبة) .

معروف أن الأندلسيين يحبون زخرفة قصورهم و تزيينها بالحلي و الأفرشة و التماثيل و هذا ما حاول إبن زمرك تأكيده ، فقد أقرّ أن عظمة قصور بني الأحمر لا يضاهيها أي قصر من قصور القدماء ، فالتقدم شمل جميع النحواحي خاصة الناحية العمرانية فيقول منقوشا على الخشب بالبيت من القصر الكبير:[2]

مَاذَا عَسَى التَشْبِيهُ و التَمْثِيلُ و الله مَالِي في الوُجُودِ مَثِيل

فَلَقَد رُفِقْتَ بِدَارِ خُلْد زُخْرِفَتْ يَرْتَدُ مِنْهَا الطَرْفُ و هُوَ كَلِيل

1- محمد بن يوسف الصّريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 153.

2- المصدر نفسه ، ص 306.

إن أكثر الشعر المنقوش على جنبات القصور جاء لينقل لنا المنجزات العمرانية المتمثلة في القصور و الشرفات و التماثيل و القبات ، فقد غدت القصور الملكية رمزللفتنة و الإنبهار لدى إبن زمرك فهي منارة للعيون تجذب العقول و تأسر الأنظار يقول شاعرنا :[1]

مَنَازِل فيها العُيُونُ مَنَارةٌ تقيد فيها ال طَّ رْفُ أو تَعْقلُ العَقْلَا

و جَاذِبُهَا بَرْدُ الهَوَاءِ نَسيمُهَا فَصَحَتْ هَوَاءًا و النَّسيمَ قد إعْتَلَا

لقد إرتقى شعر النقوش إلى لغة تعبر عن رفاهة حس المجتمع الغرناطي و ما يسوده من ذوق جمالي و تعتبر وثيقة و مستق له أهمية خاصة يسجل لنا أمجاد الأمراء و السلاطين .

1- ماريا جيسيوس : الأدب الأندلسي ، المرجع السابق ، ص 157.

3ـ الغزل :

إرتبط شعر الغزل بالانسان منذ القدم ، كونه يحاكي مشاعره و عواطفه و يعبر عن فطرته البشرية التي أودعها الله تعالى فيه . ويعتبر من أبرز أغراض الشعر النسوي بالأندلس ، ومرد ذلك إلى شيوع اللّهو و الترف و الطرب في المجتمع الأندلسي عامة و الغرناطي خاصة ، وتمتع المرأة بحرية لم تعرفها من قبل ، بالاظافة الى طبيعة الأندلس الجميلة و كل ذلك كان يغري بالحب و يدعوا الى الغزل. [1] ويعني الغزل " وصف محاسن المحبوب ، و التعبير عن عاطفة الشوق ، ووصف حال المحب و التودد للحبيب ". [2] وأكد ابن رشيق أن الغزل هو إلف النساء و التخلق بما يوافقهن.[3]

وإذا أمعنا النظر نلاحظ أنه إمتداد لموظوعات الشعراء الرومانسيين العرب ، إذ هو أقواها تصويرا لعواطف الشعراء و أحاسيسهم مع الطرف الآخر، يقول قدامة بن جعفر " هو التصابي و الإستهتار بمودّات النساء....وتجانس موافقاتهنّ".[4]

ويحمل وصفا لخلق المرأة و أخلاقها و تصوير لهوى الرجل ووجده و الحكاية التي تجري بينهما.[5]

1- سعد بو فلاقة : الشعر النسوي الأندلسي أغراضه و خصائصه الفنية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 ، الجزائر ، 1995 ، ص 192.

2- أحمد فوزي الهيب : الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، بيروت ، 1986 ، ص 111.

3- ابن رشيق القيرواني : العمدة ، ج1 ، المصدر السابق ، ص117.

4- قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، (د. ط) ، بيروت ، (د. ت) ، ص 134.

5- علي بو ملحم : الأدب و فنونه ، المطبعة العصرية ، (د. ط) ، لبنان ، 1970 ، ص92.

وقد حظي شعر إبن زمرك بقسط وفير من الأغراض الغزلية، وهذا راجع لتلاؤمه مع مزاجه الذي كان ميّالا إلى الجمال ، لكن شعره جاء مرافقا بالحياء فهو لم يسمح لنفسه أن يتحدث بحديث مبتذل ولا بكلام فاحش يحط من مروءته وهو يرى أن الحب يجب أن يمثل علاقة سامية فيرخص من أجلها كل غال و أنّه قادر على وصال المحبوبة لكنّ عفافه يجعله مترفعا عن ذلك يقول:[1]

أَلَا في سَبِيلِ الله نَفسٌ نَفِيسَةٌ يُرَخِّصُ منها الحُبُّ ماكَانَ غَالِيَا

خَلَوْتُ بِمَنْ أَهْوَاهْ مِنْ غَيْر رُقْيَة ولكنّ عفَافِي لم أَكُنْ عَنْهُ خَالِيَا

وقد حاول من خلال هذا تبيين مدى حرصه على محبوبته وهذا يعود لصدق العاطفة.

إنّ كلّ عاشق محروم من حبيبته يشعر لا محالة بالحرج وضيق الصّدر ، فيفضل الصمت و الإنعزال ليفرج عن نفسه و يخفف من همه و عذابه و غمه ، و لقد أشار إبن زمرك مرارا إلى العذاب و الإنكسار الذي يلاقيه جراء محبوبته قائلا:[2]

عَذّبَني و الغَرَامُ عَذْبٌ أَهْيَفُ كَالغُصْنِ في التَّثَنِي

قَالَ إذا قُلْتَ مِلْتَ عَنِّي ليس كَذَا فَالقِوَامُ مِنِّي

1- أحمد بن محمد المقري التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 66.

2- محمد بن يوسف الصّريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 183.

ويستحيل على أي انسان أن يتغافل عن الجمال الباهر الذّي تحظى به المحبوبة خاصة عند مرورها أمامه ، إذ كاد الشاعر أن يفقد لبّه حينما فوجئ برؤيتها فإعجابه بها أدّى به إلى سرد أشعار متنوعة دالة على إضطرابه و تنفسه اللاّهث فقال:[1]

لَوْ لَمْ يكن حَسَنًا مارَاقَ مَنْظَرُهُ ولم تُضَفْ أُمُّهُ قِدْما إلى حَسَنِ

وقد تكررت عند الشاعر صور و معان تدور حول محاسن المرأة و جمالها و هذا من خلال وصفه للوجه و العيون الدّالة على جمال صارخ ، و هذه الصور قديمة قدم الجاهلية إستخدمها الشعراء في الأعصر السابقة. و هذا إن دلّ على شئ إنّما يدل على تأثر شعراء الأندلس بالمشرق العربي فوصف الخدود كان معروفا عندهم يقول :[2]

عَجِبْتُ لِوَجْهٍ قَدْ ذَوَى وَرْدُ خَدِّهِ فأَسْقَطَ فيه الطَلُّ من نَرْجَسِ اللّحظ

فأكْسَبَهُ بعد الذُّبُولِ نضارة كما إكتَسَبَ المَعْنَى جَمَالاً من اللّفظ

وإذا كان ابن زمرك وزيرا فهو شاعر أيضا ينظم شعرا حسنا فيه حلاوة الكلمة و جمال الإيقاع

1- المصدر السابق : ص 185.

2- المصدر نفسه : ص 97.

كان الشاعر يتأثر إلى حدّ بعيد بصوت حبيبته لما يجد فيه من موسيقى عذبة و رخامة شيقة يكاد يفقد لبّه لها فقد شبه هذا الصوت بالبلبل وذلك في مقطوعة ممتازة طريفة وفق فيها شاعرنا و برهن لنا أنه من كبار الشعراء إذ قال:[3]

لي في البَلَابِلِ أسْرَارٌ مُحَجّبَةٌ لكنَّهَا عن فُؤَادِي لَيْس تُحْتَجَبُ

يُغْريهِ بَعْضُ بِبَعض كُلّمَا سَجَعَتْ أليس ذا عنْده مِن أَمْرِهَا عَجَبُ

وكل إنسان بطبعه لديه صفات خاصة يحب أن تكون موجودة لدى حبيبته فإبن زمرك من هؤلاء يحب صفة النعومة البالغة في جسم حبيبته، و يميزها عن غيرها لما فيها من رشاقة و ليونة فيقول :[1]

هَلّا عَطِفْتَ عَلَيَّ غصن قوامه هَلّا سَمَحْتَ لِنَاظِرِي بِقِطَافِهِ

مع العلم أن محبوبته هذه هي رومية و ليست عربية . و يقضي شاعرنا معظم أوقاته يذكر حبيبته إذ أصبحت هوسا بالنسبة له يتحدث عنها ليلا و نهارا دون كلل وملل . فليس من شأنه إيقاف دموعه لأن هذه الأخيرة ليست عادية ، فحاول إثبات نوعيتها من خلال تفسير ما يحدث بداخله فأقرّ أن قلبه مقيد من قبل العشق ، فالدمع كالغيث مرسل دون توقف فسماعه عن الغرام فقط يشعل قلبه نارا و يسقي خده دموعا معللا ذلك بقوله:[2]

3- المصدر نفسه : ص 184.

1- المصدر السابق : ص 347.

2- المصدر نفسه : ص99.

ومَنْ كَانَ مِثْلِي قَيَّدَا العِشْقُ قَلْبَهُ و أَطْلَقَ فِي الخَدِ الدُمُوعَ و أَرْسَلَا

وكم من حَدِيثٍ في الغَرَامِ رَوَيْتُهُ عَنِ الخَدِ عَنِ عَيْنِي عَنِ الدَمْعِ مُرْسَلَا

و إن من المسلم به أن إنشغال البال و الإضطراب و ضيق الصدر لا تسمح للمصاب بها أن يغمض جفونه و يذوق راحة النوم . و إذا بقي العاشق ساهرا هامت به أفكاره حول مصيره فيغلب عليه التشاؤم [1] ، الذي يزيد من حدة تلك الوحدة التي تساوره في أعماق الليالي المظلمة الصامتة، و قد عانى شاعرنا من ذلك ما عاناه غيره و فضّل أن ينطوي على همومه بحيث أنه لم يعتن بالقال و القيل يقول :[2]

أَبِيتُ أُرَاعِي نُجُومَ الدُّجَا كأَنِّي أُسَامِرُ مِنْهَا نَدَامَى

و قَدْ كَانَ في الطَيْفِ لِي مُقْنِع لَوْ أن جُفُونِي تَذُ وقُ المَنَامَا

الغزل عند إبن زمرك لم يقتصر على محبوباته فقط بل شمل حتى الغلمان . فالقصور و المتنزهات لم تكن من أجل الجواري لوحدهم ، بل عمّر هذه القصور الغلمان فكان سعرهم سعر المحبوبات ويسمّى هذا الغزل بغزل الغلمان أو بصورة أوضح غزل المذكر فقد كان لابن زمرك غلمان يداعبه و يقضي معظم أوقاته معه فقد جعله مرمى غزله. إذ يقول :[3]

يا فَرجًا علَّلْتُ نفْسِي بِهِ و الفَالُ مَحْبُوبٌ لِتَعْلِيلِهِ

1- حمدان حجاجي : حياة و آثار ابن زمرك ، المرجع السابق ، ص 163.

2- محمد بن يوسف الصّريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 345.

3- المصدر نفسه : ص 101.

حَرَّمْتُ إحْلِيلَكَ هَذَا عَلَى نَفْسِي و أَقْنَيْتُ بِتَحْلِيلِهِ

و قام بالتغزل به حين نبت شعر لحيته فقال:[1]

أُعِيذُك مِن خَدٍ إذا إخْضَرَّ آسُه ذَوي وَرْدِهِ فازوَرَّ عنه المجَانِبُ

لهُ وَجْنَة قَد أَذْكَرَتْ مَثَلاً جرَى إذا إخضَرَّ منها جَانبُ حفّ جَانبُ

حيث كانت هذه الظاهرة ظاهرة إجتماعية غمرت المجتمع الأندلسي، و أصبحت جزءا من كيانها و هي لا تختص بشخص معين بل هي عامة .[2]

1- المصدر السابق : ص 97.

2- مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، دار العلم للملايين ، ط5 ، بيروت ، 1983 ، ص 54.

4- الوصف

الوصف غرض من الأغراض الشعرية ، فهو عمادها و أساسها يقول إبن رشيق " الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف و لا سبيل إلى حصره و إستقصائه " [1]. و هو موضوع متواجد منذ الجاهلية ففي القرن الرابع ظهر هذا الفن بصورة جديدة فيها إبتكار و إبداع و تطور و رقي .[2] و أكد إبن رشيق أن أحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع أما قدامه فقال: " إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال و الهيئات ، و الشاعر العربي طيلة حياته يواكب الطبيعة بكل مظاهره ، و يحاكيها محاكاة فنية ، فهو يستمد مواضيعه ، من طبيعة بيئته ، يتأثر بها و يؤثر " . و في تعريف أحمد الهاشمي للوصف يقول: " الوصف عبارة عن بيان الأمر بإستيعاب أحواله و ضروب نعوته الممثلة له ، و أصوله ثلاثة هي :

1- أن يكون الوصف حقيقيا بالموصوف مفرزا له عمّا سواه.

2- أن يكون ذا رونق.

3- أن لا يخرج إلى حدود المبالغة و الإسهاب، و يكتفي بما كان مناسبا للحال .[3]

و من المسلمات البديهية أن نجد الشعر الأندلسي قد برع في الوصف براعة لا يقاس بها غيره ، فجال الأندلسي بجبالها الخضر و سهولها اليانعة ، و جداولها المترقرقة ، و رياضها المخضلة و ترفها الناعم المريح ، قد ألهم الشعراء ما لم يلهم به غيرهم من البلاد

1- ابن رشيق القيرواني : العمدة ، ج1 ، المصدر السابق ، ص 294.

2- مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب ، ج3 ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، بيروت ، 1974 ، ص 119.

3- أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في أدبيات و انشاء لغة العرب ، ج1 ، مطبعة السعادة ، (د. ط) ، مصر ، 1965م ص 326.

العربية في المشرق فـأشعارهم المختارة شائعة ذائعة فيها جودة و فن .[1] حيث برعوا في وصف مجالس اللهو و الغناء و الرقص و الشراب و آلته ، و الصيد و أدواته و السلاح و السفن إلى غير ذلك من الأوصاف الأخرى. [2] إذ منح الوصف إستقلالية خاصة فأصبح غرض مستقل غير ممزوج بالأغراض الأخرى. [3] فإبن زمرك افتتن فعلا بالطبيعة الغناء لغرناطة و ضواحيها كما كان الأمر لشاعر جزيرة شقر الجنان ابن خفاجة الذي إتخذه شاعرنا قدوة و تأثر به إلى حد بعيد .

أول ما لفت انتباه الشاعر في هذه الطبيعة تلك الرياح الخفيفة فهذه الريح لا تصحب الزوابع و ما ينجر عنها من آلام يقول :[4]

و الرِّيحُ تَلْثِمُ ثَغْرَ أَزْهَارَ الرُّبَا فتعودنا في الرَّوْضِ عَاطرَةُ الرِّدَا

أما غرض النسيم العليل فقد ورد أكثر من مرة، إذ كان يطيب لشاعرنا أن يشير إليه وقت هبوبه ملاطفا الأزهار و مداعبا الأشجار و الأغصان فيزرع الطم أنينة في النفس و يثير العاطفة الشعرية فينطق شاعرنا قائلا :[5]

هبَّ النَّسِيمُ على الريَاحِ مَعَ السِحْرِ فلِسْتَيْقَضَتْ في الدَوْحِ أَجْفَانُ الزَهُرِ

1- محمد رجب البيومي : الأدب الأندلسي بين التأثر و التأثير ، إدارة الثقافة و النشر ، (د. ط) ، السعودية ، 1980م ، ص.56.

2- بطرس البستاني : أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث ، دار مارون عبّود ، (د. ط) ، بيروت ، (د. ت) ص65.

3- جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، دار المعارف ، ط2 ، مصر ، 1966م ، ص120.

4- محمد بن يوسف الصّريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 75.

5- حمدان حجاجي : حياة و آثار ابن زمرك ، المرجع السابق ، ص175.

لكن قدرة الله تعالى لا ينكرها ابن زمرك و دائما يكررها ، خاصة عندما إلتفت إلى البساط الأبيض المنتشر أمام عينه فالأرض مكسوة بالثلوج . يقول في هذا المقام :[1]

بَسَطَ البَيَاضُ كَرَامَةَ لِقُدُومِهِ وإفتر ثغرًا عَنْ مُسْرَة معتني

فالأَرْضُ جَوهَرَةٌ تَلُوح لِمُجْتَل و الدَوْحُ مُزْهِرَةٌ تَفُوحُ لِمُجْتَنِي

سُبْحَانَ من أعطى الوُجُود وُجُودهُ لِيَدل منه عَلَى الجَو ا دِ المُحْسِنِ

لا يشير إبن زمرك إلى الطبيعة دون الاشارة الى اهم مظاهرها و المتمثلة في النجوم و البدر و غيرها فالليل ظاهرة طبيعية تثير إعجاب شاعرنا فيفتتن بها فلا يمل و لا يكل من مشاهدة الليل تارة ما يبدوا مخيفا و تارة مطمئنا ومشاهدة السماء و هي مشتعلة بالنجوم تزيد من ضياء الليل حيث يقول ابن زمرك :[2]

و للنَّجْمِ قَلْبٌ دون ذلك خَافِقٌ وطَرْفٌ وراء اللَّيْل بات مُسْهَدًا

أما البدر إستعمله ابن زمرك بكثرة في المدح و الغزل ، و بما أنه يحتل الصدارة في الوصف فقد قال فيه شاعرنا :[3]

إنَّ البُدُورَ لَتيجانٌ مَكَلَّلَةٌ جَواهِرُ الشُهْبِ في أبهى مَجَاليهَا

1- أحمد بن محمد المقري التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج2 ،المصدر السابق ، ص 160.

2- محمد بن يوسف الصّريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص136.

3- أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج7 ، المصدر السابق ، ص172.

إعتبر ابن زمرك وصف المباني رمزا حيا يشهد على عظمة الدولة النصرية في ميدان الفن و العمران، حيث دعانا في شعره إلى تأمل تلك المنازل و المباني و القصور . و في نظره يعود الفضل كله بعد الله إلى الغنى بالله الذي أمر بإشادة هذه المباني، و من المباني التي إستوقفت ابن زمرك دار الملك الفاخرة فأطلعنا على بعض الجوانب الفنية التي يتمتع بها هذا القصر فيقول :[1]

ولله مَبْنَاكَ الجَمِيلُ فإنه يَفُوقُ على حُكْمِ السُعُود المبَانِيَا

فَكَمْ فِيه للأبْصَارِ من مُنَزَّه تَجِدُ بِهِ نَفْسُ الحَلِيمِ الأَمَانِيَا

و تَهْوَى النُجُومُ الزُهُرُ لَو ثَبَتَتْ بِهِ و لم تَكُ في أُفُقِ السَمَاءِ جَوَارِيَا

يريد الشاعر أن يعلمنا أن النجوم تكاد تنزل من السماء و تمضي وقتها في هذا المبنى و هذا لشدة جاذبيته، لكن جمال هذه القصور والمباني لوحدها لم يأت من عدم، بل يوجد من شارك في جمال منظرها أي تلك الحدائق المحيطة بها ، فمن يبين هذه الحدائق حديقة جنة العريف و هي حدائق جميلة محيطة بالقصور الملكية أقرّ ابن زمرك أن لا أحدا ، يضاهيها في جمالها فهي غاية في الحسن و الجمال فالشهب دائما تحدق بها و تحسدها على المنظر الذي توحي به ، يقول الشاعر :[2]

1- ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان ، ج4 ، دار احياء التراث العربي ، ط2 ، بيروت ، 1972م ــ 1392هـ ، ص412.

2- محمد بن يوسف الصّريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 262.

لله جَنَاتُ العُرِيفِ فإنّهَا فِيهَا المَعَارفُ و العوار قُ تُصَفِقُ

حَسَدَتْ بُرُوجُ الأُفْقِ حُسْنَ بُرُوجِهِ فالشُّهْبُ من حَسَدٍ عليه تُحَلِّقُ

من ذَا يُضَاهي حُسْنَهَا و جَمَالَهَا و الحُسْنُ تَاجٌ و السَبيكَةُ مَفْرِقُ

ثم يؤكد الشاعرعلى ضرورة شكر الإله على النعمة التي أنعمها على آل نصر فكلما شكرت و حمدت كلما زادك ألكثر فلكثر يقول :[1]

فاشْكُرْ صَنيعَ الله فيه ف إنّمَا نَعِمَ الإلَهُ بِشُكْرِها تَتَزَيَّدُ

كما أكثر الأندلسيون من وصف الازهار [2] وإبن زمرك كان من الذين برعوا في وصفها و أبرز ما نجده في هذا الوصف رقة التعبير و رهافة الحس. [3] فقد أشار شاعرنا إليها مرات عديدة في شعره و أبدى ميولا بالغا إلى روائحها و ألوانها و أنواعها و نضارتها ، حيث ذكر زهر القرنفل عندما رآه بجبل الفتح كان في زيارة مع الغني بالله. يقول :[4]

يَقِرُ بِعَيْني أن أرى الزَّهْر يانِعًا و قد نَازَعَ المَحْبُوبُ في الحُسْنِ وَصْفِهِ

و ما أَبْصَرَتْ عَيْني كَزَهْر قُرُنْفُل حَكَى خَدَ من يَسْبي الفُؤَادَ و عَرْفَهُ

1- المصدر السابق ، ص 123.

2- لسان الدين ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج1 ، المصدر السابق ، ص 27.

3- أحمد سليم الحمصي : ابن زمرك الغرناطي سيرته و أدبه ، المرجع السابق ، ص 155.

4- محمد بن يوسف الصّريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص443.

ثم يخبرنا عن منظر الخيري نبات له زهر جميل و هو وسط جنة العريف ف ألوانه ساحرة مرة صفراء و مرة زرقاء يقول الشاعر :[1]

يبْدُوا بِهَا الخَيْرِيُ بَيْنَ مُذَهَبٍ يَعْلوهُ من حُسْنِ العَشِيَةِ رَوْنَقٌ

ومن الأكلات التي يحبها و يتمتع بتذوقها تلك المجبنة ، و هي عبارة عن نوع من الفطائر تصنع من الدقيق فهي رائجة جدا في الأندلس و يستحب أكلها ، حارة المذاق إذ يشير إلى أشكالها وأنواعها المقدمة في الطبق . لونها ذو بياض ناصع شبهه بلون أزهار البطاح يقول:[2]

دامَتْ لَكَ الخَيْرَاتُ يا بَدْرَ السَّماحِ فلطالَمَا كُوِّنْتَ من بَدْرٍ لَيَاحٍ

هَلْ يَعْلَمُ الفَلَكُ المكَوْكِبُ أَنَّها خَلُصَتْ لنا من صَفْوِ البانِ اللِّقَاحِ

لا تُنْكِرُوا مِنْهَا بَيَاضًا نَاصعًا فَبَيَاضهَا من لَوْنِ أَزْهارِ البِطاحِ

و قد أعطى للمعارك حقها و لم ينساها . فبفضلها يسود البلاد الأمن و الطمأنينة و يعيش الغرناطيون في سلام دائم . فأقرّ أن الدروع التي تلبس في المعارك هي أجسام روحها النصر و هواءها السلام و كلمتها الحرية المطلقة .

1- المصدر السابق : ص263.

2- المصدر نفسه : ص81.

أما نصيب الطبيعة الحية فكان ضئيلا جدا لدى ابن زمرك ، حيث إقتصر حديثه عن الحيوانات الأهلية من بينها الزرافة ، التي قال ابن الخطيب في حقها بأنها " غريبة ".[3] وابن زمرك من الأوائل الذين إندهشوا من رؤية الزرافة التي جلبت جمهورا غفيرا فكان وصفه لها شيقا إذ قال :[1]

راقَ العُيُونَ أديمُهَا فكأنَّهُ رَوْضٌ تَفَتَّحَ عن شَقيقٍ بهار

ما بَيْنَ مَبيضٍ و أَصْفَرٍ فَاقِعٍ سَالَ اللُّجَيْنُ به خِلالَ نِضار

خَرَجُوا لَهَا الجَمُّ ال غفيرِ و كُلُّهُمْ مُتَعَجِبٌ من لُطْفْ صُنْعِ الباري

أما الحيوان الذي شاهده ابن زمرك و هو يهجم على العدو و يتنقل بسرعة فائقة مبديا شجاعته و قوته في صراعاته العنيفة الخيل فقال:[2]

من أَشْهُبٍ كَالصُبْحِ يَطْلُعُ غُرَّهُ في مُسْتَهَلِ العَسْكَرِ الجِرَارْ

أو أَدْهَمَ كا للَّيْلِ إلّا أنه لم يَرْضَ بالجَوْزَاءِ حُلَي عِذَارْ

أو أحمر كالجَمْرِ يُذْكَى شُعْلُهُ و قد إرْتَمَى من بَأْسِهِ شَرَارْ

3- لسان الدين ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج2 ، المصدر السابق ، ص172.

1- أحمد بن محمد المقري التلمساني: أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج2 ، المصدر السابق ، ص172.

2- حمدان حجاجي : حياة و آثار ابن زمرك ، المرجع السابق ، ص190.

5ــ الرثاء :

الرثاء غرض شعري قديم ، ظهر منذ القدم أي في العصر الجاهلي ، ثم إنتقل فيما بعد إلى بلاد الأندلس حيث تطور و إزدهر فيها وتوسع فقد شمل رثاء موتاهم من الملوك و الرؤساء و الأقارب و الأحباب و المدن إذ أصبح فنا قائما بذاته.[1]

ويعد نوعا من الألم لحبيب إرتحل وفارق الحياة . وحسب إبن رشيق فالرثاء يحمل عدة ظواهر منها التفجع ، الحسرة ، الأسف والإستعظام. [2] والرثاء إذا تمعنّا في معناه نجده أقرب إلى مفهوم العزاء الذي تغلب عليه مسحة المواساة والتذكير بحقيقة الموت و الحياة.[3] ولا يوجد إنسان على وجه الأرض لم يتذوق هذا الألم الشديد و الحتمي الذي يجب أن نراه يوما ما لكن ردّة الفعل تختلف من أحد لآخر فهناك من يذرف الدموع كالغيث دون توقف و هناك من يصمت صمتا غير طبيعي ، و هناك من يصرخ صراخا تودّ لو أنّ الأرض إنشقت و إبتلعته. أما الشعراء فكان سبيلهم الوحيد هو إنشاد قصائد عديدة لعلّها تخفف من آلامهم و تعينهم على الفقدان و تلهمهم الصبر و السلوان.[4]

وكان من يقرؤها تؤثر فيه و تحرك ساكنه لما تحمله من نغمات حزينة معبرة عن غاية البؤس ، فابن زمرك وجد نفسه فيها لجراء ما حدث معه بعد فقدان أغلى إنسان عنده على وجه الأرض ألا و هو الغنيّ بالله ، فبعد موته إسودّت الحياة أمامه وأصبح يملؤها البكاء و

1- جغام ليلى : رثاء المدن بين سقوط الأندلس و أحداث الثلاثاء الأسود ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، عدد4 ، جانفي ، 2009.

2- ابن رشيق القيرواني : العمدة ، ج1 ، المصدر السابق ، ص147.

3- عبد الرشيد عبد العزيز سالم : شعر الرثاء العربي ، وكالة المطبوعات ، ط1 ، الكويت ، 1982م ، ص89.

4- ابراهيم أبو الخشب : تاريخ الأدب العربي في الأندلس ، دار الفكر العربي ، ط1 ، مصر ، 1966 ، ص207.

الحسرة و هذا طبيعي نظرا للمدّة الطويلة التّي قضياها معا ، فدائما مجتمعان في السّراء و الضرّاء مستحيل أن تجد أحدا دون الآخر.

أول ما سمع الشاعر بموت أعز النّاس إليه وأقربهم ذرفت عيناه دما بدل الدّموع من شدّة الأسى، إذ كانت كثيرة و غزيرة بحيث لا يمكن أن يتحكم فيها ، فقد أتت هكذا وهي لوعة شديدة و قاسية مقرها القلب . فينشد قائلا:[1]

أُبَكّيهِ للرايات يَخْفِقُ بَنْدُها وفي مَرْقَبِ النَّصْرِ المُؤَزَّرِ يُعْليهَا

أُبَكّيهِ للخَيْلِ المُغيرَةِ بالضُحـ ـى وقَدْ أَبْعَدَ الفَتْحُ المُبينُ مَراميها

ثمّ ينبهنا الشاعر إلى أنّه لا أحد على البسيطة لم يجهش بالبكاء عندما بلغه هذا النبأ العظيم وهذا ممّا ليس بأمر عجيب ، ألم يكن الغنيّ بالله من أمجد ملوك الأرض ، و الذي لازالت آثار خيراته باقية جلية. يقول:[2]

وَيُبْكيهِ مَعْمورُ الَبسيطَة كلّهُ وما ضَمَّ من داني البِلادِ وقاصيها

وكما تألم الإنسان لفقدان السلطان و إنجرح بالمقابل نجد أن الطبيعة تبادله نفس الشعور فقد حزنت هي الأخرى على فقدانه و تأثرت بهذا الحادث المفجع ، فيحكي لنا الشاعر مدى تألمها و كيف تواجه هذه المصيبة الشنيعة قائلا:[3]

1- أحمد بن محمد المقري التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج2 ، المصدر السابق ، ص155.

2- المصدر نفسه ، ص155.

3- المصدر نفسه ، ص 155.

خَفَا الكَوْكَبُ الوَقَّادُ قد كان نورُهُ يُجَلّي من الدُّهْمِ الخُطُوبِ دَياجيهَا

هَوَى القَمَرُ الوَضَّاحُ من أُفُقِ العُلا فَأَظْلَمَ جَوُّ النَيّراتِ بِساريها

وقد كَسَفَتْ شَمْسُ الهِدايَةِ بَعْدَمَا أَبَانَ سَبيلُ الحَقّ للخَلْقِ هاديها

فيحاول رغم أنّه متيقن بأنّ والده قد وافته المنيّة بأن يستصرخه و يناديه لعلّه يستجيب له ويتحدث إليه. وكان أسلوب إبن زمرك رائج إلى أسلوب الإستغاثة لا يعرف ما يفعله لينجوا بنفسه و بأبيه. يقول:[1]

أَمَوْلايَ يا مَوْلايَ هَلْ أَنْتَ سامِع ي أَبُثُكَ ما يُشْجي القُلوبَ و يُدْميهَا

ثمّ يخبره أنّ الجميع متفقون لبذل مافي وسعهم من جهد ليعود الأب إلى هذه الحياة وإبن زمرك مستعد أن يدفع الثّمن الأغلى ليساعد على ذلك أي الفداء بالنفس يقول:[2]

أَمَوْلايَ لَوْ كان الفِداءُ مُسَوّغًا فَدَيْناكَ بالدُّنْيا جميعًا وما فيهَا

ثمّ يخبره بأنّه في حالة ما إذا تنكّرت له الأيام فإنّ إسمه لوحده كاف ليتعرّف عليه الجميع. يقول : [3]

1- المصدر السابق ، ص156.

2- المصدر نفسه ، ص156.

3- حمدان حجاجي : شعر و موشحات الوزير ابن زمرك ، المرجع السابق ، ص158.

ولَو كانَتْ الأَيامُ قَبْلُ تَنَكّرَتْ فَبِإسْمِكَ يابَدْرَ الهُدى تَتَعَرّفُ

وإبن زمرك متيقن أن الغني بالله من المقربين عند الله مأواه لامحالة بإذن الله الجنة. يقول:[1]

فمن مبلغ عَنّا الغَنِيّ بِرَبِهِ وقَدْ سَارَ للفِرْدَوْسِ يَحْيَا و يُتْحَفُ

لكن في النهاية يذكر إبن زمرك النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم خير البشرية عند الله ليقتدى به وتكون في وفاته موعظة لمن كانوا يعقلون. فقال:[2]

وفي مَوْتِ خَيْرِ الخَلْقِ أَكْبَرَ أُسْوَةٍ تُصَبّرُ أَحْرارَ النُّفُوسِ و تُسَلّيهَا

ومن خلال هذا نجد أنّ الشاعر قد إقتنع بأنّ الموت هو حقيقة لا مفر منه ، فهذه هي سُنّة الله في خلقه ، وأكبر دليل موت الرّسول عليه الصّلاة و السّلام ، وموت العديد من الشخصيات العظام التي كانت تتمتع بجاه ومال وبنين وقوة لا يصدها أحد . ودليل هذا موت شيخه القاضي أبا القاسم الحسني. يقول:[3]

نَقَشَ الزّمَانُ بِصَرْفِهِ في صَفْحِهِ كُلُّ إجْتِماعٍ مُؤَذَّنٍ بِفِراق

يا حَسْرَتي للعِلْمِ أَقْفَرَ رَبْعُهُ والعَدْلُ جُرِّدَ أجْمَلُ الأَطْواق

1- حمدان حجاجي : حياة وآثار ابن زمرك ، المرجع السابق ، ص143.

2- عيسى خليل محسن : أمراء الشعر الأندلسي ، المرجع السابق ، ص305.

3- أحمد بن محمد المقري التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج2 ، المصدر السابق ، ص160.

أغراض أخرى :

1ــ التهنئة :

هناك مناسبات عامة وأخرى خاصة تستدعي قول الشعر فيها ، وعقد المجالس من أجلها ويأتي في مقدمتها شعر التهنئة . و هذه الأشعار يستعملها الشعراء أحيانا من أجل بناء علاقات جديدة و جيّدة مع المهنّأ وخاصة الخليفة . ولإظهار شاعريتهم أمام الجمهور الذين هم على مستوى عال من الثقافة .[1]

ويمكن القول أن تقديم التهاني أسلوب من أساليب التجامل بين النّاس وترسيخ العلاقات الإجتماعية بينهم.

تعد التهاني من أشهر أنواع المكاتبات الشخصية ، و المراسلات الأخوية و من أهم الموضوعات التي تناولها معظم الشعراء ، ولها علاقة وطيدة بالأفراح وهي تعبير عن عواطف المشاركة بين النّاس في مناسبات المسرّة و الإبتهاج.[2]

إبن زمرك أحد الشعراء الذين قاموا بتهنئة العديد من الأشخاص من الكبير إلى الصغير من أبناء الأسرة الحاكمة، لكن المناسبات تختلف فمنها ماقاله الشاعر مهنّئا الملك الغنيّ بالله بالعام الجديد ومبشّرا إيّاه بالسّعادة التّي سيلاقيها و أنّ الأمل أصبح حقيقة. يقول:[3]

1- آزاء محمد الباجلاني : المجالس الشعرية في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار غيداء للنشر و التزيع ، ط1 عمان ، الأردن ، 2013م – 1434ه ، ص 84 .

2- أضحنا واني بنت عبد الغفار : التهاني و التعازي في تسهيل السبيل إلى تعلم الترسيل ، لأبي عبد الله الحميدي دراسة و تحليل ، ماجيستير ، كلية معارف الوحي و العلوم الإنسانية ، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا ، 2007م ، ص 2 .

3- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان إبن زمرك ، المصدر السابق ، ص 67 .

أَبْشِرْ بِعَامٍ جَدِيدٍ تستَجِدُّ بِهِ لَكَ السُّعُودُ ونَيْلُ السُّؤْلِ و الأَمَلِ

حتّى يَرَى ثَغْرَ هذا الثَّغْرِ مُبْتَسِمًا طَوْعَ المَسَرَّةِ من بِشْرٍ وَمِنْ جَذَلِ

وبما أنّ الغنيّ بالله معروف بالشجاعة و الإقدام وعدم الخوف من كبار الكفّار، فقد بادر بمهاجمة أكبر عدوّ له ولغرناطة "النصرانيّ صاحب أراغون" فقضى عليه ، وهذا ما أدّى بإبن زمرك إلى بعث قصيدة للملك يهنّئه من خلالها على وضع حدّ لكلّ فاسق يودّ قتلنا وضمّ غرناطة إليه وتنصيرها. يقول:[1]

هَنيئًا فَأَهْلُ الكُفْرِ مَاتَ عَميدُهُمْ و أَصْبَحَتْ الأَغْلالُ في النّارِ طَوقَهُ

وكلُّ إمْرِئٍ نَاوَا مَقَامَكَ عَامِدًا فإنّ حُسَامَ السِّدِ يَضْرِبُ عُنْقَهُ

بالإضافة إلى أن شاعرنا كان صاحب واجب ، فكلّما رزق أفراد الأسرة الحاكمة بمولود كان أول المهنئين بهذه المناسبة السّارة ، ونلمح هذا في قصيدة كتبها لمولانا الجدّ يهنّئ الأمير نصر ــ إبن الغنيّ بالله مات مقتولا مع أخويه محمد وسعد على يد أخيهم يوسف عند توليه الحكم بعد أبيه ــ[2] بملود رزقه الله إيّاه. يقول:[3]

وبُشْرَى كَمَا شَعْشَعْتَ بَرقَ غَمامةٍ يُضاحِكُها بِشْرًا فتَسْمَحُ بالنّدى

1- المصدر نفسه ، ص 98 .

2- لسان الدين بن الخطيب : اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، المصدر السابق ، ص24 .

3- محمد بن يوسف الصّريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق، ص132.

يُحْيِّي بِهَا الإسْلامُ خير خَليفَةٍ تَعَوَّدَ نَصْرُ الله فيمَا تَعَوَّدَا

وفي نفس المناسبة قام بتهنئة السلطان أبا فارس حينما رزق بمولود ــ أبا فارس كنية لسلطان المغرب عبد العزيز ــ فيا لها من فرحة كبيرة تغمر الإنسان خاصة عندما يصبح أبا و تقر عيناه بوجود هذا الطفل البري الذي يكبر خطوة خطوة أمام نظر أباه وأمل إبن زمرك فيه كبير إذ يتمنّى أن يكون هذا الولد مجاهد يقضي على الكفّار ، ومن خلاله يعمّ السّلام و الأمان. يقول:[1]

أبافارِسٍ يُهَنيكَ مَولِدُ فارِسٍ وبُورِكَ مَولُودًا وبُورِكْتَ والِدًا

وقَرَّتْ بِهِ عَيْنَاكَ حتّى تُعِدَّهُ أمامك يَغْزُوا الكَافِرينَ مُجَاهِدًا

تعلّق الشاعر بالملك لم يكن تعلق في إطار العمل وحسب بل كانت العلاقة علاقة الأب بإبنه والولد بأبيه ، فعندما مرض الغنيّ بالله كاد الشاعر يموت قهرا و تألما فحبه لهذا الملك غير طبيعي ، وحينما شفي طار فرحا وقام بتهنئته لكن بطريقته المعتادة. يقول :[2]

الحَمْدُ لله بَلَغْنَا المُنَى لَمَّا رَأَيْنَاكَ وزَالَ العَنَا

ولا مجال لإبتعاد الوالد عن إبنه فإبتعاده هو بمثابة موت وفناء للولد وعند عودته من السفر يقوم الشاعر بتهنئته و إبداء الفرحة التّي تغمره و تغمر جميع العباد. يقول :[3]

1- المصدر نفسه ، ص 322 .

2- أحمد بن محمد المقري التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 135 .

3- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان إبن زمرك ، المصدر السابق ، ص 265 .

قَدِمْتَ عَلَيْنَا قُدُومَ السِّعُودِ

2- الخمريات :

عرفت الأندلس في العصر الغرناطي طائفة من أئمة الشعر الخمري أمثال الجياب ابن خميس و ابن الازرق الغرناطي و ابن زمرك.[1]

إذ أنه من خلال هذا الشعر يحاولون إظهار و إبراز ما هو جار في المجتمع و يصفون بدقة كيفية الشرب، و كيف يبدو شكل و لون هذا المشروب، و الطعم الذي يحمله و التحدث عن المغامرات التي تحدث بين الشاربين و حولهم القانيات تغنيين و ترقصن.

كان شعر ابن زمرك ضئيلا جدا في هذا الغرض، لم يحظ باهتمام كبير فقد عُثر على أبيات قليلة فقط من بينها أبيات قالها على لسان شارب خمر أكثرت البعوض من لسع وجهه يقول في هذا الصدد :[2]

شربتَ دَمَ العُنْقودِ مِنْ غير حِلِّهِ فَقيَّضَ لي الأَوْباشِ تَشْرُبُ من دَمِي

بَعُوضٌ إذا جَنَّ الظَلامُ إنْبَرَيْنَ لي يَعود بها جِلدي مَشوبًا بِعَنْدَمِ ي

و إلى جانب ذلك يشير الشاعر إلى لون الخمرة فهي تارة مذهبة و تارة حمراء ثم يجمع بينهما في بيت واحد ذي أسلوب رقيق فيقول :[3]

مُحْمَرَّةٌ مُصْفَرَّةٌ قد أَظْهَرَتْ خَجَلَ المُريبِ يَشُوبُهُ وَجْهَ الحَذَرِ

1- يوسف الطويل : مدخل إلى الأدب الأندلسي ، المرجع السابق ، ص 67 .

2- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان إبن زمرك ، المصدر السابق ، 237 .

3- حمدان حجاجي : حياة و آثار إبن زمرك ، المرجع السابق ، ص 146 .

3- الزهد و التصوف :

يكاد ينعدم هذا الغرض لقلّته عند ابن زمرك و هذا طبيعي نظرا للحياة التي عاشها الشاعر فقد كان الشاعر رجلا ذو طموح شديد محب للسلطة ، و ما تسمح به من مزايا و هدفه الوحيد هو الإستمتاع بالحياة الدنيا و بلوغه لغايات مادية لا أكثر و لا أقل و دليل ذلك أنّ ما ورد في شعره لا يلفت الأنظار إذا إكتفى بتكرار حقائق معروفة و سطحية كقوله أن الشباب غير دائم و أن الحياة قصيرة و سرعان ما يكبر الإنسان و يشيخ يقول:[1]

وكُنْتُ أَرَى لَيْلَ الشَّبَابِ يُضِلُنِي فهذا صَبَاحُ الشَيْبِ قَدْ لَاحَ هَادِيهَا

و من كَحَّل التَوفيقُ بالنُّورِ عيْنَهُ و أَيْقَضَ مِنْهُ نَائِمُ القَلْبِ سَاهِيَا

رأى كلَّ شيءٍ ما خَلَا الله بَاطِلًا و كُلُّ وُجُودِ ما سِوَى الحَقِّ فَانِيَا

ثم يجعلنا نتامل هذه الحقائق الاولية و ندرك أنّ هذا الكون هو مجرد مظهر أسماء تنسب إليه و أن الغيب هو ما وراء العقل يقول :[2]

و الكَوْنُ مَظْهَرُ أَسْمَاءٍ نُسِبْتُ لها في عالم الأَمْرِ حِينَ الكَوْنُ لم يَكُنْ

و الغَيْبُ مَعْنَى وَرَاءَ العَقْلِ مَظْهَرُهُ فلم يَكُنْ بِشِعَارِ الحِسِّ مُمْتَهِنْ

1- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان إبن زمرك ، المصدر السابق ، ص 212 .

2- المصدر نفسه ، ص 318 . 1.

و لكن جهلنا عظيم و طبيعتنا ضعيفة بحيث أننا لم نستطع أن نهتدي إلى الطريق المستقيم فلأطعنا النفس الأمّارة بالسوء فيتأتّي له أن يقول :[1]

إنَّ إلى الله عَبِيدُ الهَوَى لَمْ نَعْرِفْ الحَقَ و لَا البَاطِلَا

فَكُلٌّ من يَرْجُو سِوَى الله خَابَ و إنَّمَا الفَوْزُ لِعَبْدٍ مُنيبْ

1- حمدان حجاجي : حياة و آثار إبن زمرك ، المرجع السابق ، ص 144 .

4- الإستعطاف :

هذا الغرض يختص بطبقة الملوك و الوزراء لما نالهم من النكبات و المحن ، و هذا لا يعني أنه لا يخص العامة من الناس ، لكن الغالب هو متصل بطبقة الحكام و هذا راجع لتدهور أحوالهم و تراجعها. فبعد العز و الرفعة و المقام الذي كانوا فيه يجدون أنفسهم في مذلة و حرمان فيلجؤون إلى إستمالة قلب المستعطف و تذكيره بولائه و خدماته ووصف المعاناة التي يلا قيها ، و إبن زمرك أحد هؤلاء الذين قاموا بإستعطاف ملوك بني الأحمر فقد إستعطف السلطان أبا الحجاج و دعم قوله بما تميزوا به من خصال حميدة. يقول:[1]

بما قد حِزْتَ من كَرَمِ الخِلَال بما أدْرَكْتَ من رُتَبِ الجلال

بما أَوْلَيْتَ من صُنْعٍ جَميلْ يُطابِقُ لَفْظُهُ مَعْنَى الكَمَال

تَغَمَدْنِي بِفَضْلِكَ و اغْتَفِرْهَا ذُنُوبًا في الفِعَال و في المَقَال

و من ذلك أيضا ما قاله للسلطان أبا عبد الله رحمة الله تعالى عليه متوسلا بقديم ذمامه و الخدم المتعددة من نظامه بقول :[2]

أَتَعْطَشُ أَوْلادِي و أَنْتَ غَمَامَةٌ تَعُمُّ جَميعَ الخَلْقِ بالنَفْعِ وا لسٌّ قْيَا

1- أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج7 ، المصدر السابق ، ص 237 .

2- أحمد بن محمد المقري التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 158 .

و ما الجُودُ إلّا مَيِّتٌ غَيْرَ أَنَّهُ إذا نفَخْتَ يُمْنَاك في روحِه يَحْيَا

الفصـــل الثانـي : الأغراض الشعرية فـي ديوان ابن زمرك " دراسة فنية "

I. اللّغة و الأسلوب .

أولا : المعجم الشعري :

ثانيا : مصادر ثقافة الشاعر :

II. الصورة الفنية.

أولا : الصورة البيانية :

ثانيا : المحسنات البديعية .

III. الموسيقى الشعرية .

أولا : إيقاع داخلي :

ثانيا : إيقاع خارجي :

I - اللغة والأسلوب.

أولا: المعجم الشعري:

يستعمل الشاعر اللّغة في الأدب إستعمالا خاصا[1]. فهي بناء حي وتعبير كامل عن المضمون وليست مجرد ألفاظ تقال [2]، فاللغة والمعنى يكملان بعضهما البعض ويرى ابن رشيق «أن اللفظ جسم وروحه المعنى و إرتباطه به كإرتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته فإذا سلم المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظا ، ولا نجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير واجب [3]. وبتعبير أدق اللغة خلايا لفظية ومعنوية وعقلية ووجدانية تتفاعل داخل الجسم الحي للعمل الأدبي ، ولا تملك لنفسها حياة فعلية خارج هذا الجسم [4]. وتعتبر اللغة معيار من معايير الشعر فالناقد حين يريد تمييز شعر عن آخر ينظر أولا لألفاظ القصيدة وتراكيبها والمعاني التي تود إيصالها، فأولى الخطوات التي تساعد على معرفة معجم الشاعر اللغوي تتيسر بالعودة إلى الأصول التي إستقى منه لغته، فاللغة تولد مع الإنسان بالفطرة وتنموا معه بالإكتساب والدربة والمطالعة وإستيعاب الدراسات الجادة لبعض أصول الأدب.

1- امحمد بن لخضر فورار : الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية دراسة موضوعية وفنية ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، (د. ط) ، بسكرة ، الجزائر ، 2009 ، ص200.

2- نبيل أبو حلتم : اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع هجري ، دار الثقافة ، (د. ط) ، قطر ، الدوحة ، 1985، ص358.

3- ابن رشيق القيرواني : العمدة، المصدر السابق، ص 124.

4- محمد الكوفي : مبادئ النقد الأدبي ، تقديم: محمد عناني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د. ط) ، القاهرة ، 2007 ، ص157.

ولكل شاعر حدسا فنيا ورغبة يأتلفان لتخير كلمات ذات صلة خاصة بجزيئات أو بأطراف يؤكد عليها أو تنتمي إلى جو أو بيئة تخالط كل ما يتطرق إليه.[1]

ومن ينتقي خير الألفاظ وأرقاها وأحسنها وأفضلها هو بالفعل شاعر حاذق ، يتم معنى الكلام ويوصله إلى مكانة فلا يصح أن يكون المعنى صائب واللفظ فاتر ركيك، وفي ذلك مداعاة إلى إستهجائه وذمه ورفضه.[2]

وإذا نظرنا إلى شعر ابن زمرك نجده موافقا وملائما لما حث عليه النقاد واشترطوه، فلغته تتصف بالسلاسة والسهولة والتلاؤم بين الفظ والمعنى، و إبتعد عن الألفاظ التي حذر النقاد من إستعمالها، فقد دعا العسكري إلى تجنب الألفاظ الوحشية الغربية والسوقية المبتذلة التي تحط من قيمة العمل الأدبي، ودعا إلى الإختيار من الكلام «ما كان سهلا جزلا، لا يشوبه شيء من كلام العامة وألفاظ الحوشية وما لم يخالف فيه وجه الإستعمال».[3]

ولغة ابن زمرك متأثرة تأثيرا كبيرا بالحياة الأندلسية التي غلب عليها مظهر التحضر والتأنق في العصر الغرناطي، كان لابد لمعجم هذه اللغة أن يواكب هذا المجتمع المتحضر والراقي والمزدهر في جميع جوانب الحياة.

1- فايز الداية : جماليات الأسلوب ، دار الفكر المعاصر، ط2 ، (د. ب) ، 1411، ص 22.

2- أبو هلال العسكري : الصناعتين ، تحقيق: على البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، درا إحياء الكتب العربية، ط1، (د. ب) ، 1952 ، ص 59.

3- المصدر نفسه : ص 148.

1- ألفاظ الطبيعة:

استمد الشاعر معظم لغته من الطبيعة، وهذا النهج سار عليه العديد من الشعراء الأندلسيين وغيرهم من شعراء العرب الذين أحبوا الطبيعة وعشقوها حتى غدت كثير من ألفاظها تشغل مساحة واسعة من شعرهم وابن زمرك واحد من هؤلاء الشعراء.

إذ مثلت ألفاظ الطبيعة مصدرا ثريا من خلالها تتكون الصورة ومنها تعددت مشاهد الجمال وألوان الزينة والتأنق التي حملتها عبارات الشاعر.يقول: [1]

ثَبُتَتْ له خَمْسُ الثُرَيَا مُعيذَة ويُصبْحُ مُعْتَلَ ال زَواسِمِ رَاقِيَا.

به القُبَّة الغَرَّاءُ قَبْلَ نَظيرِهَا تَرَى الحَسَن فيها مُتَسكِنَا وبَادِيَا.

تَمُد لها الجَوْزَاءُ كَفَّ مُصَافِح ويَدْنوا لَهَا بَدْرَ السَّماءِ مُنَاجِيَا.

وتهوى النُّجُوم الزُهُرُ لو ثَبَتَتْ بِهَا ولَمْ تَكُ في أُفق السَّماءِ جَوَارِيَا.

فمن خلال هذه الأبيات وضح الشاعر لوحته بألفاظ (الروض، الثريان النجوم، الزهر، السماء) وهذا يعتبر اتساق فكري جمالي كان للشعر فيه حظ وافر.والألفاظ التي يسوقها الشاعر دائما تكون ملبية للغرض المطروق ، ونلمح هذا عند وصفه لقامة محبوبته، فمن

1- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 125.

المعلوم أن الميزة الأولى لكل قامة هي الرشاقة والليونة وهذا ما يُذَكِرُ كل شاعر بغصن البان، يقول:[1]

يا غُصْنَ ب انٍ يَميلُ زَهوًا ريّان في روْضَةِ الشَّبَابِ.

ويقول:[2]

هو العلم الخفَّاق في هضبة العُلَى هو النَيِّر المرقُوبُ في أُفُق الهُدى.

أَجلُّ ملوك الأرض قدراً ورفعة وأشرفُهم في أسرة الفخر منتدى.

وأوفرهم حِلْماً وأَبْهَرُهُم حُلىً وأوسَعُهم رِفْدًا وأكرمهم جَدَا.

فألفاظ (العلم الخَفَّاقُ، النيّر، أشرفهم، أوفرهم، أبهرهم، أكرمهم) ملائمة لغرض المديح والإشادة بفضائل الملك الناصر.

وتتضح خصوصية التشكيل اللغوي في إستعمال ابن زمرك مهارته اللغوية في شعر الوصف فجاءت ألفاظه تمتاز بالدقة والعذوبة والمباشرة وقد أجمع النقاد على أن أجود الوصف هو الذي يستطيع أن يحكي الموصوف حتى يكاد يماثله عيانا للسامع، وذلك بأن يأتي الشاعر

1- المصدر السابق : ص 155.

2- المصدر نفسه : ص132.

بأكثر معاني ما يصفه، وأظهرها فيه وأولاها بأن تمثله للحسن بنعته.[1]

فمثلا وصفه للبرق والرعد، يقول:[2]

والسُحْبُ بالجَوْهرِ استَهَلَّ تْ فالبَرْقُ سَيفٌ مُجَوْهَرُ.

صفاته المُذَهَّباتُ حَلّتْ في راحة الجَوِّ تَشْهَرُ.

2-ألفاظ الحزن والألم:

تكمن قيمة الشاعر في الأساس في التعبير عن خولج النفس الإنسانية ورصد ما يؤثر فيها من عوامل معنوية ومادية وشمولية [3]. ونلمس هذا في شعر ابن زمرك فقد حَمَّلها الشاعر أحزانه وآلامه، فألفاظه وتعابيره تبرز كل المواجع والآلام التي يعيشها وتظهر لنا عمق الحب والشوق والتلهف في كل المواقف المعاشة، والشاعر الأندلسي بطبعه مرهف الحس يعيش واقعه ويتأثر به فيأتي تأثيره ولواعج نفسه بعبارات موسيقية تشحن بخلجات وجدانه واهتزازات عواطفه وانفعالاته، وينثر كل ما تكنه أعماقه وما حملته الأيام من

1- ابن رشيق القيرواني : العمدة ، المصدر السابق ، ص 294، 295ـــ.

2- حمدان حجاجي : حياة وآثار ابن زمرك ، المرجع السابق، ص 174.

3- أمل صالح رحمة : باعث العاطفة في حقول التراجيديا في الشعر الأندلسي ، مجلة البحوث التربوية والنفسية ، العدد17 ص 119.

تجارب خلال مسيرته الطويلة مع الزمن والحياة والمجتمع وما تحمله من أحزان وغبطة، من غنى وفقر.[4]

فمن الجوانب التي أبرز فيها الشاعر حزنه ومآسيه تذكّره للذنوب التي اقترفها في حياته فيصبح عقله في عالم آخر يَودُّ مَحْوَ هذه الخطايا بأي طريقة كانت ، وإرضاء الله سبحانه وتعالى ولا طريقة سوى شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، فيتحدث إليه وهو شاك لما يعانيه، يقول:[1]

أَشْكُوا إلَيْكَ وأَنْتَ خيْرُ مُؤْمَل داءُ الذُنُوبِ وفي يَدَيْكَ دَوَائِي.

إنِّي مَدَدْتُ يَدَيَ إليْكَ تَضَرُعًا حاشَى وكَلَا أَنْ يَخ ي بَ رَجَائِي.

والألفاظ المستعملة في هذا البيت الشعري دالة على الخوف الشديد من الآخرة ومن العقاب الذي سيلحق كل إنسان أساء لأخيه الإنسان.

أما الألفاظ التي استعملها في قصائد الغزل فقد إمتازت بالرقة والسلاسة. فموضوع الغزل يحتاج إلى السهولة والعذوبة ، حيث إشترط النقد في الغزل أن يكون حلو الألفاظ رسلها، قريب المعاني سهلها، غير كزٍّ ولا غامض وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى، لين الإيثار، شفاف الجوهر.[2]

4- المرجع نفسه : ص 108.

1- حمداني حجاجي : حياة وآثار ابن زمرك ، المرجع السابق ، ص 135.

2- ابن رشيق القيرواني : العمدة ، المصدر السابق ، ص116.

فنجد الشاعر وضع ألفاظ ملائمة لموقف التعبير عن العشق والغرام فعكست لنا حالته النفسية وانكساره أمام المحبوبة، يقول:[3]

أُراعي نُجُومَ الأُفُقِ في اللَّيْلِ مَادِجًا وأَقْرَبُ من عَيْني للنَّوْمِ أَنْجُمُ.

وما زِلْتُ أُخْفي الحُبَّ عن كُلِّ عاذِلٍ وتُبْدي دُمُوعُ الصَبِّ ما هو يَكْتُمُ.

فكل لفظة تساوي أرق الشاعر وضيق صدره فالشوق جعل النوم بعيد عن عينيه.

3 التكرار:

إن التكرار يقوي من الصورة الشعرية ويضفي على القصائد جَوًا عاطفيا غامضا فإذا أردنا التعبير عن فكرة ذكرنا اللفظة مرتين أو 3 مرات، والتكرار في غالبه واقع في الألفاظ دون المعاني [1] من خلاله نستطيع التعرف على براعة الشاعر كما يعطي انطباعا للمستمع بأنه يتعامل مع صرح شعري له قواعده ومفاتيحه الخاصة إذ يقول إبراهيم الفقي «هو من الظواهر التي تتسم بها اللغات عامة واللغة العربية خاصة ولا يتحقق التكرار على مستوى واحد بل عدة مستويات كتكرار الحروف، الكلمات والعبارات، الجمل

3- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في غرناطة، ج2، المصدر السابق ص 234.

1- داحو آسية : الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية ، ماجستير، كلية الأدب عربي، جامعة حسيبة بن بوعلي ، الشلف، الجزائر، 2009، ص 40.

2- إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ج 2 ، دار قباء للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة ، 2000 ، ص17.

والفقرات، القصص أو المواقف» [2] أما ابن رشيق يؤكد أنه تكرار كلمة بالمعنى واللفظ ويكون في الألفاظ أكثر من المعاني، بغية التشوق والاستيعاب أو التنويه أو التهويل.ويرى الجاحظ أن التكرار لا يجوز أن يستخدم إلا عند الضرورة والحاجة أي أن نحاول من خلاله الوصول إلى المعنى المراد إليه فالتكرار لا يكون زيادة ما دام لحكمه تقرير المعنى أو خطاب السّاهي، كما أن ترداد الألفاظ ليس بِعَيٍّ ما دام لم يجاوز مقدار الحاجة.[1]

ومنه يمكن القول أن التكرار أحد الأدوات اللأسلوبية والآليات التعبيرية التي باستطاعتها نكشف أغوار النص وبواسطتها تتعمق في ما وراء ذاته واستجلاء مختلف الأحاسيس والمشاعر الجبيئة في نفس المبدع «إنه إحدى المرايا العاكسة لكثافة الشعور المتراكم زمنيا عند الذات المبدعة، يتجمع في بؤرة واحدة ليؤدي أغراضا عديدة».[2]

والحقيقة أن التكرار أسلوب يتحصن بمختلف القدرات التعبيرية التي من شأنها توافرها في أي أسلوب تعبيري آخر فهو : يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة [3] التي تزيد قوته وترسخ في فكر المتلقي، كما يعمل التكرار على اثراء العاطفة ورفع درجة

1- ينظر. الجاحظ : البيان والتبين ، تحقيق: عبد السلام هارون ، ج 3، مكتبة الخانجي ، ط 3، القاهرة ، مصر، 1968، ص 314.

2- عبد اللطيف حنا : نسيج التكرار بين الجمالية والوظيفة ديوان الربيع بوشامة أنموذجا ، مجلة علوم اللغة العربية ، مطبعة منصور ، الوادي ، الجزائر، عدد 4 ، 2012، ص 09.

3- فهد ناصر عاشور : التكرار في شعر محمود درويش ، دار الفارس، ط1 ، الأردن ، 2004، ص 11.

4- نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين ، ط8 ، بيروت، 1983، ص 263.

تأثيرها، وتركيز الإيقاع وتكشف حركة التردد الصوتي في القصيدة [4] ، مما يمنحها ثقلا معنويا وآداء متميز مشحون بالعمق والتوالد الفكري. بالإضافة إلى أنه ظاهرة وليدة القصيدة الحديثة بل عرفت عند القدماء العرب فقد وظفوها في نظمهم ونثرهم واستخدموا بل جُلَّ أشكالها وأنواعها ولعل القصيدة استعادت أشكالا إضافية جديدة من خلال تعاملها مع مستجدات عصرها وارتكزت على التكرار كبنية تعبيرية تفضي بواسطته بالكثير من أسرارها، وتفضح به عن العديد من مقولاتها لذلك كان التكرار هو البنية الأكثر دورانا في الشعر عامة والشعر الأندلسي خاصة وقد يستغرق أحيانا النص الشعري بكامله.[1]

ونلمح في شعر ابن زمرك وجود أسلوب التكرار بكثرة فقد كرر العديد من الكلمات والعبارات بغرض التأكيد والتنبيه وجلب فكر القارئ وجعله يتعايش مع النص بكل حواسه، كما ساهم هذا الأسلوب على الكشف عن فاعلية قادرة على منح النص الشعري بنية متسقة، إذ أن كل تكرار قادر على تجسيد الإحساس بالتسلسل والتتابع، وهذا الأخير يعين في إثارة التوقع لدى السامع ويجعله أكثر تحفزًا لسماع الشاعر والانتباه إليه ويظهر هذا في قوله:[2]

يَا مَنْ إذا هَبَّتْ نَوَاسِمُ حَمْدِهِ أَزْرَتْ بِعُرْفِ الرَّوْضَةَ المِعْطَار.

يا من إذا إفتّوْتَ مَبَاسِمِ بِشْرِهِ وَهَبَ النُفُوسَ وعَاشَ في الإقْتَار.

1- عبد اللطيف حنا : نسيج التكرار بين الجمالية والوظيفة ، المرجع السابق، ص 10.

2- أحمد بن محمد المقرّي التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج2 ، المصدر السابق، ص 28.

نلاحظ أن الشاعر قد كرر التركيب المكون من : أداة النداء **أنا،** وأداة الإستفهام **من،** وأداة الشرط **إذا**3 مرات في تهنئة لمولانا الغني بالله عند فتحه المغرب ، إذ يلح من خلال هذا على أن هذا المولى راعي وحامي الديار فمهما شكروه وحمدوا الله على وجوده قليل ، فهو بمثابة شمس ساطعة عليهم تنير حياتهم وتفتح أبصارهم ، والمقصود من هذا التكرار الإشادة بقيمة الغني بالله وعظيم دوره في صنع مستقبل غرناطة وأهلها.

ويتعدى التكرار في شعر ابن زمرك إلى تكرار الحروف ، من بينها حروف العطف المؤدية وظائف متنوعة في جسد القصيدة كالربط والمساهمة في الانسجام والتناسق وتلاحق المعاني والمحافظة على وحدة الأفكار وتراسلها، ويظهر هذا عند وصفه ج نةّ العُرّيف يقول:[1]

وسعى الغميميَّ الغمامُ فأزْهَرَتْ أدْوَاحُهُ بِالمِسْكِ مِنْها يُفْتَقُ.

وعُيُونُ نَرْجِسِهِ رَأَتْ إبْدَاعَهُ فَبَدَاَ عليها لَوْنُ من يَتَعَشَّقُ.

لقد قام حرف العطف بوظيفة دلالية وهي الربط بين المعاني ، وجعلها متلاحقة ومتواترة (وسعى، وعيون). فالواو هنا هي أداة ذات فائدة بنائية تقوم بحفظ بنائية الأبيات وتشكيل رابط يعمل على تلاحمها.

1- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص264.

ثانيا: مصادر ثقافة الشاعر :

1 -القرآن الكريم:

شكل القرآن الكريم رافدا أساسيا من روافد ثقافة الكتاب الأندلسيين ، وكانت حضورية النص القرآني في أشعارهم شاهدا حيا على عمق صلتهم بالقرآن الكريم وتأثرهم به ، بل أصبح توظيف النص الم عجز والقدرة على تطويعه لخدمة موضوعاتهم والتفنن في إنتقاء أساليب

التعبير معايير تقاس بها ثقافة الشاعر وتبين مدى نجاحه في عملية الإبداع الفني [1]. وتمثل تأثرهم الذي له حظ كبير في أشعارهم بتضمين الآيات القرآنية حينا ، والإكتفاء بمعانيها حينا آخر، وهو مظهر قوي من مظاهر التأثر بالروح القرآني .[2] و لعل إكثار ابن زمرك من هذا الأثر الديني فيه دلالة لفظية ومعنوية ، فهو يمس أفئدة الناس بطريقة مؤثرة وفي جانب آخر لا يخلوا من إجماع على حب الذين وسير الأنبياء والرسل.

1- طارق محمد السلامين : أثر القرآن الكريم في الخطاب النثري الأندلسي ، ماجستير ، كلية الأدب عربي ، جامعة مؤتة، 2010، ص7.

2- امحمد بن لخضر فورار : الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية ، المرجع السابق ، ص 159.

3- محمد بن يوسف الصّريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق، ص 127.

4- سورة النمل. آية 44.

هناك العديد من النماذج فيها تضمين مباشر من النص القرآني حيث يقول الشاعر:[3]

ذاك صَرْحُ الزُّجاجِ من قد رَآهُ ظَنَّهُ لُجَّةً تروع وهاله.

فهنا يشير إلى قصة سبأ بلقيس مع النبي سليمان عليه السلام التي وردت في سورة النمل لقوله تعالى: «قيل لها ادخلي الصرح فلمّا رأته حسبته لُجَّةً وكشفت عن ساقيها قال إنّه صرح ممرّدٌ من قوارير...».[4]

وهذا عندما لبت بلقيس دعوة سليمان عليه السلام بالدخول إلى الصرح الذي صنعه لها فلما رأته حسبته لُجَةً من الماء.

وبشكل آخر نجد أنّ الشاعر قد استعان بصورة الأنبياء عليهم السلام على النحو المشهور عنهم الذي رواه وصوره القرآن الكريم ، وفي مقدمة الأنبياء الذين يرد ذكرهم على ألسنة الكثير من الشعراء النبي "يوسف عليه السلام " حيث كان مضرب المثل في حسن الصورة والصبر على أذى إخوته رغم أن لا ذنب عليه [1]. ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:[2]

1- امحمد بن لخضر الفورار : الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية ، المرجع السابق ، ص 159.

2- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 355.

3- سورة الإسراء. آية 15.

4- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 236.

وتَصْحِيفُهُ يُ عْزَي إليه بِيُوسُفٍ وهَيْهَاتَ لا ذَنْبَ عليه ولا وِزَرُ.

فيوسف هو رمز للصبر، بالإضافة إلى أن الشاعر لفت الأنظار إلى موضوع آخر ألا وهو عدم تحميل الإنسان ذنب الآخر ، ومردُّ هذا إلى قوله تعالى «ولا تزر وازرة وزر أُخرى».[3]

ومن الأنبياء الذين اقتدى بهم الشاعر أيضا سيدنا "موسى عليه السلام" حينما إعتبر الحوت دليله ومسلكه للوصول إلى سيدنا خضر ، وهذا ما أشار إليه الشاعر حين قال أن في صورة الكهف قصة أقرّها الله سبحانه وتعالى ولا مجال لإنكارها، يقول الشاعر:[4]

ألا تَرَى مُوسَى وقَدْ حَلَّهَا أَصْبَحَ لِلْحُوتِ من الطَّالبين.

في سُورَةِ الكَهْفِ لَهَا قِصَّةٌ مَنْصُوصَةٌ من أَصْدَقِ القَائِلينَ.

وفي نفس السورة نجد قصة أصحاب الكهف الذين هربوا من قومهم خوفا على دينهم وإيمانهم بالله تعالى وإخلاصهم له، يقول الشاعر:[1]

وفِتْيَةٌ صالِ حةٌ قَدْ جَفَتْ وخَلَّفْتَهُمْ دُونَهَا نائِمِينَ.

1- المصدر نفسه : ص 229.
2- المصدر نفسه : ص 229.
3- سورة الضحى. آية 2.

وبما أن قدوة ابن زمرك هو القرآن الكريم ومرشده للطريق الصحيح، فقد تبعه وكان مناظرا له من جميع النواحي ودليل ذلك القسم الوارد في شعره ، والذي يعتبر أن بعد النطق به لا مجال للكذب والتكذيب، فالله قد أقسم به وجعله بيانا للعباد، يقول الشاعر:[2]

واحِدَةٌ من سَبْعَةٍ شُرِّفت فالقَسَمُ البِرُّ بها لايَمِينُ.

قَدْ أَقْسَمَ الله بها ب إسْمِهَا ومَرَّه بين جَوَارٍ تَبِينْ.

وهو يقصد ما أقسم الله بها في القرآن مثل . (الضحى، الليل، النجم، القمر والشمس) ودليل ذلك قوله تعالى في سورة الضحى «والضحى (1) والليل إذا سجى(2)».[3] وقوله في سورة الليل «واللّيل إذا يغشى» .[4] وفي سورة النجم «والنجم إذا هوى » [5]. وفي سورة الفجر «والفجر(1) وليال عشر(2)»[1]. أما في سورة الشمس قال تعالى «والشمس وضحاها(1) والقمر إذا تلاها(2)».[2]

4- سورة اللّيل. آية 1.

5- سورة النجم. آية 1.

1- سورة الفجر. آية 2.

2- سورة الشمس. آية 2.

3- سورة الشعراء. آية 195.

4- امحمد بن لخضر فورار: الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية ، المرجع السابق ،ص 160.

5- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 163.

2 الحديث النبوي الشريف:

إن قلم الشاعر لم يتجه صوب القرآن الكريم وحسب، فقد إقتبس أيضا من الأحاديث النبوية الشريفة لما فيها من روائع الإبداع والثراء اللغوي الذي لم يعرف مثله أحد لا قبله ولا بعده مع العلم أنه القائل : «أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد». وقوله تعالى في سورة الشعراء «بلسان عربي مبين».[3]

فالحديث النبوي الشريف هو بمثابة الرافد الثاني نحو الإتجاه الإسلامي ويظهر هذا التأثر في شعر ابن زمرك.[4]

يقول الشاعر:[5]

أرْوَاحُنَا مُتَجنِّداتٌ تَلْتَقِي بِتَعَارُفٍ وتألّفٍ وتحبُبِ.

وهذ البيت مقتبس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «الأرواح جنود مجنّدة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف». [1] أي أن الطباع في الإنسان سواء كانت عبارة في خير أو شر إذا اتفقت ائتلفت وإذا اختلفت نكر بعضها الآخر.

1- محمد بن اسماعيل البخاري : صحيح البخاري ، تحقيق: محمد بن زهير بن ناصر ، ج9 ، دار طوق النجاة ، ط1 ، دمشق ، 1422ه .

2- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق، ص 117.

3- محمد بن اسماعيل البخاري : صحيح البخاري ، المصدر السابق .

وفي قول آخر يتحدث عن الشكر فيقرّ أن من شكر و إعترف بالنعمة زاده الله أكثر وأنعمه ممّا لا يُحتسب، يقول:[2]

فَأَجْرُكَ أَجْرُ الشَاكِرِينَ ولم يَزَل يُزاد من النَّعْمَاءِ من كَانَ يَشْكُرِ.

وهذا ما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم عن شكر الله لنعمه التي لا تعد ولا تحصى. يقول (من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله. التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر).[3]

كما أن الشاعر مولع بأصحاب الرسول فمن بينهم قيس بن عبادة الخزرجي ، كان من فضلاء الصحابة وأحد دهاة العرب وكرمائهم ، وقد أشار الشاعر إلى ما كان من تكليف النبي عليه الصلاة والسلام لسعد بن عبادة بحمل الراية يوم فتح مكة[4]. يقول:[5]

أَوَ لَيْسَ جَدُّكُم اللِّوَاءُ بِكَفِّهِ والفَتْحُ أَعْظَمُ ما يَكُونُ وأَكْبَرُ؟

4- عز الدين بن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج4، (د. ط) ،(د. ب) ، 555م، ص 125.
5- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق، ص 46.

1- المصدر السابق: ص 46.
2- امحمد بن لخضر فورار : الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية ، المرجع السابق، ص 163.
3- ربيعة بن ثابت الرقي : شعر ربيعة الرقي، تحقيق: نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (د. ط) ، دمشق ، 1980، ص 60.

ثم يشير إلى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة وذريته، يقول:[1]

ودَعَا بِغُفْرَانٍ لَهُمْ وَبَنِيهِمْ وبَنِي بَنِيهِمْ وهِيَ نِعْمَ المَفْخَرُ.

3 الشعراء العرب:

أخذ شاعر من شاعر آخر ليس سرقة ولا تقليد، بل يدل على الرغبة في الإستفادة من هذا الموروث الذي يعتبر عنصرا أساسيا في تكوينهم ، ويكون أحيانا تأثرا لا شعوريا بمحفوظهم الغزير وما ترسب في نفوسهم من رواسب الموروث الشعري، الذي شكّل جزء من تكوينهم بـإعتبار أن الأدب الأندلسي ليس مستقلا بذاته.[2] وابن زمرك أحد الشعراء المتأثرين بالشعراء العرب لكن تأثره كان ضئيلا جدا. ومن أمثلة هذا تأثره بالشاعر العباسي ربيعة الرقي المعروف بمدحه للخلفاء وغزله لعشيقاته و محبوباته، يقول الشاعر ربيعة الرقي:[3]

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ اليَزِيدَيْنِ في النَدَى يَزِيدُ سُلِيم واليَزِيدَيْن حَاتِم.

وقد اقتبس ابن زمرك من هذا البيت فقال:[1]

1- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 54.

2- المصدر نفسه : ص 280.

3- المصدر نفسه : ص 138.

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ اليَزيدَيْنِ في النَدَى فَجُودُكَ جُودُ الغَيْثِ بَذَّ وَأَخْجَلَا.

كما أشار الشاعر إلى قصة الحب التي حدثت بين جميل بن معمر العذري و بثينة بنت حباب فحكايتهما أسطورة تشهد عليها الحجاز، لكن ابن زمرك يؤكد أن حبه فاق حب جميل لمحبوبته وأن ما يعيشه أجمل مما عاشه الآخر، يقول:[2]

مِنْ أَيْنَ يَجْمُلُ بِي السُلُوُّ وإنني في فَرْطِ حُبِّي من جَمِيلٍ أَجْمَلُ.

وفي قصيدة أخرى مدح فيها ابن زمرك الغنيّ بالله. قائلا:[3]

وإذا عَفَتْ مِنْهَا المَعَاهِدُ لَمْ أَقُلْ لا أَنْتَ أَنْتَ ولا الدِّيَارُ ديارُ.

أمّا أبو تمام قال عن وطنه:[4]

لا أَنْتَ أَنْتَ ولا الدِّيَارُ ديارُ خَفَّ الهَوَى وَتَوَلَّتِ الأَوْطَارُ.

4- الخطيب التبريزي : شرح ديوان أبي تمام، تقديم: راجي الأسمر، ج 2 ، دار الكتاب العربي للنشر، ط 2 ، بيروت، 1994، ص 166.

II – الصورة الفنية.

تعد الصورة الفنية واحد من أبرز الأدوات التي يستخدمها الشعراء في بناء قصائدهم وتجسيد أحاسيسهم ومشاعرهم، والتعبير عن أفكارهم وتصوراتهم للإنسان والكون والحياة.

أولا: الصورة البيانية:

1- التشبيه:

في المعنى اللغوي نقصد به التمثيل والمماثلة يقال شبهت هذا بهذا تشبيها أي مثلته به. والتشبيه: المثل، والجمع أشباه وأشبه الشيء بالشيء: ماثله.[1]

أما في المعنى ا لإصطلاحي هي صورة تقوم على تمثيل شيء (حسي أو مجرد) بشيء آخر (حسي أو مجرد). لاشتراكهما في صفة (حسية أو مجردة) أو أكثر.[2]

والأشياء التي تشارك غيرها في صفة أو أكثر تكون هناك أداة رابطة بينهما تسمى أداة التشبيه.[3]

وخصص ابن وهب في كتابه "البرهان في وجوه البيان " للتشبيه بابا ، بين فيه أهميته وبلاغته إذ قال: «التشبيه من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة وكلما كان

1- ابن منظور : لسان العرب ، (مادة شبه) ، المصدر السابق ،ص 18.

2- يوسف أبو العدوس : التشبيه والاستعارة ، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، ط1، عمّان، الأردن، 2007 ، ص 15.

3- ينظر. مصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، دار المعارف ، ط9، مصر، 1966، ص20.

المشبه منهم في تشبيه ألطف، كان بالشعر أعرف وكلما كان إلى المعنى أسبق كان بالحذق أليق».[4]

وأكد أبو هلال العسكري أن التشبيه يزيد في المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا. أما الجرجاني فله رأي ليس ببعيد يقول «إعلم أن الشيئين إذا اشتبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج إلى تأويل، والآخر أن يكون التشبيه محصلا بضرب من التأويل».[1]

ويعرفه ابن رشيق «التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه» [2] ونلمح التشبيه بكثرة في شعر ابن زمرك. فأول مشبه أشار إليه هو ممدوحه الغني بالله الذي شبهه بأبيه أبي الحجاج في جميع صفاته، فقال:[3]

إنَّ الإمَامَ مُحَمَدًا وَرِثَ العُلَى كَأَبيهِ مَوْلانَا أَبي الحَجَّاجْ

فقد إعتمد على المثل القائل «هذا الشبل من ذاك الأسد» . ووجه الشبه في هذا البيت الشعري هو الشجاعة والإقدام والجود والدرجة العالية الرفيعة الذي حظيا بها الاثنان.

4- يوسف أبو العدوس : التشبيه والاستعارة ، المرجع السابق ، ص22.

1- عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط 3، (د. ب) 2001، ص 79.

2- ابن رشيق القيرواني : العمدة، المصدر السابق، ص 256.

3- محمد بن يوسف الصريحي، ديوان ابن زمرك، المصدر السابق، ص 128.

وفي مشبهات ابن زمرك اعتمد على كلمتي (الشمس والبحر) ، وهذا لما توحياه من معان جميلة فالشمس هي منبع النور والحرارة فلا حياة على البسيطة بدونها، فكذلك الأمر بالنسبة للأمير الذي يبعث أشعته المضيئة على دولته ورعيته المحظوظة . أما البحر فهو تعبير عن الكرم والسخاء وكثرة الجود والعطاء فكل ممدوح موصوف بهما ولا يفوت الشاعر ألا يذكرهما يقول:[1]

البَحْرُ أنت وإنّمَا أَمْواجُهُ تُحيَ ي بِزَاخِرِ جُودِهَا مَنْ تُغْرِقُ.

الشمس أنت وإنَّما أَنْوارُهَا تُهدي الضياء وحَرُّهَا لا يَحْرِقُ.

فعند الشاعر إذا كان المشبه به (البحر) يغرق من لجأ إليه فإن المشبه (الغني بالله) جوده يحيي من كان على حافة الموت ، ونفس الأمر بالنسبة للشمس الحارقة فالأمير بضياءه يكون ظلا للآخر لا مجال للإحتراق. ولا يقتصر التشبيه في المدح فقط بل جال جميع المواضيع منها الغزل . فيتحدث الشاعر عن عذابه في الغرام وكيف يظل ساهرا طوال الليل يقول:[2]

ولَكَمْ سَهِرْتَ بليله كَ دَلَالِهِ والنّجم مِثْلِي في الدُّجى يَتَمَلْمَلُ.

1- المصدر السابق : ص 262.

2- المصدر نفسه : ص 281.

أي أن الشاعر يبيت يتقلب في الفراش من كثرة التفكير ، فالعقل غير مرتاح عيناه تدمعان يخرج منها بريق ساطع كبريق النجوم التي تظل ساهرة طوال الليل حتى يظهر النهار فتختفي.

2 -الإستعارة:

حظيت الإستعارة بإهتمام كبير من قبل الفلاسفة والنقاد والبلاغيين [1]. عرّفها الجاحظ بقوله: «الإستعارة تسمية الشيء بإسم غيره إذا قام مقامه» . أما ابن المعتز قال : «هي إستعارة الكلمة لشيء لم يُعرف بها من شيء قد عرف بها».[2]

أما القاضي الجرجاني أقر بأن «الإستعارة هي أحد أعمدة الكلام وعليها المعول في التوسع والتصرف، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر» . وعرفها مرة أخرى بقوله: «ما إكتفي فيها بالإسم المستعار عن الأصلي ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها وملاكها بقرب التشبيه ومناسبة المستعار للمستعار له، و إمتزاج اللفظ بالمعنى ، حتى لا يوجد منافرة بينهما ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر». [3] وهي عند ضياء الدين بن

1- يوسف أبو العدوس : التشبيه والاستعارة ، المرجع السابق، ص 139

2- عبد العزيز عتيق : علم البيان ، دار النهضة العربية ، (د. ط) ، بيروت ، لبنان، (د. ت) ،ص 173.

3- المرجع نفسه : ص 173.

الأثير: «هي طي ذكر المستعار له الذي هو المنقول إليه والاكتفاء بذكر المستعار الذي هو المنقول».[4]

وها هو ابن زمرك يستعمل الاستعارة في بعض أشعاره ، وهذا لتأدية المعنى على أكمل وجه وإعطاء صورة جميلة من خلال إعجابه بأرض غرناطة . فأنشد قائلا:[5]

أَعَادَ وَجْهُ الأَرْضِ طَلِقًا مُشْرِقًا مُتَضَاحِكًا بِمَبَاسِمِ النُّوَارِ.

فقد شبه الشاعر وجه الأرض بوجه الإنسان فصرح بالمشبه (وجه الأرض) ، وحذف المشبه به (وجه الإنسان)، وترك قرينة لفظية دالة على ذلك ألا وهي (الوجه). فالوجه يراد به الإنسان بكامله فهو الكاشف عما كان متخفيا، المعبر عن الدواخل بملامحه وسماته ، إذ هو الناحية المكشوفة التي يعرضها الإنسان لمشاهدة الغير ليتأمل ويطلع على ما كان مكنا وراءها، فنوع الإستعارة مكنية.

ونظرا لشيوع الخمر في زمن الشاعر وتأثيره على العباد قال:[1]

والكَأْسِ تُطْلِعُ شَمْسَهَا في خَدِّهِ فَتَكَادُ تُعْشِي بالأَشِعَةِ من نَظْرِ.

استعمل الشاعر في هذا البيت إستعارة نوعها تصريحية ، حيث شبّه الخمر بالشمس فذكر المشبه به(الشمس) ، وحذف المشبه(الخمر) ، وترك قرينة لفظية دالة عليه (الكأ س).

4- المرجع نفسه : ص 174.

5- حمدان حجاجي : حياة وآثار ابن زمرك ، المرجع السابق، ص 284.

1- أحمد بن محمد المقري التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض، ج2، المصدر السابق، ص 122.

فالشمس عند غروبها تطلق حرارة لطيفة وحركة هادئة ويكون لونها مائلا إلى الذهبي وهو ما نستطيع قوله عن الخمر الذي عندما يغيب تأثيره عن الشارب تحمر خدوده ويكون هادئا لا عصبيا.

ولم تترك الإستعارة باب إلا طرقته ولا موضوعا إلا شملته ، فها هو الشاعر يتحدث عن حزنه الشديد والألم الذي يعانيه جرّاء هذه الحياة القاسية يقول:[2]

وتَبْكي السُّحُبُ مِلْءَ جُفُو نِهَا بدمع يُرَوّي غُلَّةَ المُجْدِبِ الصَّدَى.

هنا إستعارة مكنية إذ حذف المشبه به(العين) ، وذكر المشبه (السحب) ، وترك لفظة دالة عليه (البكاء، الجفن) . حيث إستعمل الشاعر الجفن وما يختص به من بكاء ليدل على غزارة الدموع التي ذرفها. وكما هو الحال بالنسبة للسحب عندما تمطر بغزارة وهذا عندما يكون الجو معكرا.

ثانيا: المحسنات البديعية:

ويقصد بهذه المحسنات تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة بخلوها عن التعقيد المعنوي[1]. أما القزويني أقرّ «أنّ البديع هو علم تعرف به وجوه

2- المصدر نفسه : ص 154.

1- عبد العزيز عتيق : علم البديع ، المرجع السابق، ص 76.

تحسين الكلام، وذلك بعد رعاية مطابقة الكلام لما يقتضيه الحال ، ووضوح الدلالة على المراد لفظا ومعنى».[2]

1- الطباق:

وهو الجمع بين الضدين أو الشيء وضده في كلام أو بيت شعر ، كالجمع بين إسمين متضادين من مثل: النهار والليل، وكالجمع بين فعلين متضادين مثل يظهر ويبطن، والمطابقة بين حرفي الجر كحرف في (اللام وعلى) لأن في (اللام) معنى المنفعة وفي (على) معنى المضرة.[3] وحسب رأي ابن رشيق فإن الطباق يجب أن يكون سهلا خفيف الروح، قليل الكلفة، يكون أرسخ في السمع وأعلق في القلب.[4]

أما أبو هلال العسكري يرى أن «الطباق في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة».[1]

والطباق نوعان: طباق ايجابي وهو ما صرح فيه بإظهار الضدين أو هي ما لم يختلف فيه الضدان ايجابا وسلبا، من أمثلتها قوله تعالى «فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات».[2]

طباق السلب هو ما لم يصرح فيها بإظهار الضدين أو هي ما اختلف فيها الضدان إيجابا وسلبا نحو قوله تعالى «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون».[3]

2- جلال الدين محمد القزويني : التلخيص في علوم البلاغة ، دار الكتاب اللبناني، (د. ط) ، بيروت ، لبنان ، 1975، ص 160.

3- عبد العزيز عتيق : علم البديع ، المرجع السابق ، ص 77.

4- ابن رشيق القيرواني : العمدة ، ج1 ، المصدر السابق ، ص 11.

1- أبو هلال العسكري : الصناعتين ، المصدر السابق ، ص 307.

2- سورة الفرقان. آية 70.

أكثر ابن زمرك من استعمال الطباق في شعره، وهذا راجع للفائدة التي يحملها إذ تبرز هذه الفائدة في جذب انتباه السامعين ، وما ينتج من أخيلة وصور شعرية وإحداث منافسة بين الشعراء، إذ أكسب هذا اللون البديعي شعر ابن زمرك جمالا وبهاءا.

يظهر الطباق في شعر المدح عنده حين قال مادحا الغني بالله:[4]

ورأى النَّهَارَ يَشي بِمَنْ قدْ زَارَهُ والَّليْلُ يَكْتُمُ زائِرِ ي هِ وَيْرفُقُ.

بين الشاعر في هذا البيت أن النهار فاضح والليل ستار ، فكل العيون تكون مفتحة والآذان صاغية لما يجري في البلاد، وأن السكون والهدوء يسود الليل ويكون جميع العباد نيام، فلا أحد يستطيع التعرف على الآخر، فنلمح هنا طباق بين لفظتي النهار والليل.

وفي رثائه للملك الغني بالله يقر أن مجرد السماع بكلمة الفراق تكون ثقيلة على القلب لو يستطيع المرء أن ينفر منها لفرّ لا محال، يقول:[1]

أَسْمَعُونِي الفِرَاقَ فَارْتَاعَ قَلْبِي وثَقِيلٌ سَمَاعُ لَفْظِ الفِرَاقِ.

فِرْقَةُ الإِلْفِ صَعْبَةُ غَيْرَ أَنِّي أَخْدَعُ النَّفْسَ بَعْدَهَا بِالتَلاقِي.

3- سورة الزمر. آية 09.

4- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 264.

1- المصدر نفسه : ص 273.

كان الطباق بين لفظتي (الفراق –التلاقي). من خلالها يؤكد الشاعر أن من رافقه طوال عمره وأحبه واعتبره أقرب الناس إليه يكون الفراق بينهما صعب للغاية . وللتخفيف من ألم هذا الفراق يحاول أن يوهم نفسه بأن التلاقي سيكون قريب وينتهي هذا البعد المحزن.

وفي شعر الشكر الموجه للغني بالله حين سأل عنه واستفسر عن أحواله وأيامه المعاشة إستخدم الشاعر الطباق في الفعل (تسكب) ، حيث كان الطباق هنا طباق سلب إذ استخدم الفعل مرة مثبتا ومرة منفيا، يقول:[21]

وإذا غمام الأفق تَسكُبُ صوبها في مثل كفّكَ في النَّدَى لم تَسْكُبِ.

وفي تعبير آخر عن الصباحيات إستخدم نفس الأسلوب، الطباق المثبت والمنفي، يقول:[3]

ولَقَدْ سَمِعْتُ وما سَمِعْتُ كَمِثْلِهَا وقَّعَتْهُ في ظاهِرِ الرُّقُعَاتِ.

2 **الجناس:**

يعد الجناس فن من الفنون البديعية ، ومن أوائل من فطنوا إليه عبد الله بن المعتز يقول : «التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ومجانستها لها أن تشبهها

2- المصدر نفسه : ص 86.

3- المصدر نفسه : ص 78.

في تأليف حروفها»[1]. فالجناس هنا مقصور على تشابه الكلمات في تأليف حروفها من غير إفصاح عمّا إذا كان هذا التشابه يمتد إلى معاني الكلمات المتشابهة الحروف أم لا.

و الجناس نوعين تام وهو : ما إتفق فيه اللفظان في 4 أمور : (أنواع الحروف، أعدادها،هيئتها الحاصلة في الحركات والسكون، ترتيبها). أما الغير تام هو : ما إختلف في اللفظان في واحد من الأربعة السابقة.[2]

وقد ورد هذا النوع البديعي في شعر ابن زمرك بشكل مقبول ، فالإكثار منه يعد عيبا في شعره إذ يؤدي أحيانا إلى التكلف وهذا ما نبه إليه النقاد ، فقد إشترطوا أن يكون صادرا عن سليقة الشاعر دون تكلف منه فإن هذا الأخير يخل بفصاحة وبلاغة الكلام.

ومن الشواهد الدالة على استعمال هذا اللون قوله في غرض الشوق للمحبوبة:[3]

أرسل الطَلَّ فوقنا وتبصَّرَ كيف يشفي العَلِيلَ منه العَلِيلَ

جانس الشاعر بين لفظة (العليل) والحاملة معنى الشاعر المريض لفراق المحبوبة، وبين اللفظة الثانية (العليل) والحاملة معنى النسيم، ونوع هذا الجناس جناس تام لما إتفقا فيه كونهما إسمان، فنوع الحروف واحد وعددها وهيئتها واحد بالإضافة إلى ترتيبها.

وفي قصيدة الشاعر بعثها لابن فركون كرد على رسالة بُعثت من قبل من طرفه كان الحديث فيها عن الناقة، يقول:[1]

1- عبد العزيز عتيق :علم البديع ، المرجع السابق ، ص 195.

2- جلال الدين القزويني : التلخيص في علم البلاغة ، المصدر السابق ، ص 388، 390.

3- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق، ص 350.

أصْدَرُوها تَرَى الجَمِيمَ الكَثَّا لا تُطيلوا على الجِمَامِ المُكَثَا.

يجانس الشاعر بين لفظتي (الجميم) الواقعة في صدر البيت ومعناه البيت الكثير أو الناهض المنتشر ، وبين (جمام) الواقعة في عجز البيت ومعناه ترك الناقة وعدم رعيها، وقد مال الشاعر إلى هذا الأسلوب كي يؤثر على المتلقي ويزيد من القيمة الموسيقية.بالإضافة إلى أن هذا النوع من الجناس يخدع السامع ، ويكمن هذا الخداع في أن المتلقي يرد في ذهنه أن بروز هذه الكلمة مرتين هي بمثابة تكرار المفردة لا أكثر ، ولكن في الحقيقة هي أن لكل واحدة منها معنى معين تختص به وهذه هي اللّذة بعينها.

لكن لم يقتصر شعر ابن زمرك على الجناس التام فقط بل تعرض إلى الجناس الناقص وهذا لما يحدثه من نسق صوتي موسيقي .يقول الشاعر في العذار:[2]

أَنْكَرْتُ آسٍ عِذَرٍ حفَّ وَجْنَتَهُ وذاك جَهْلٌ فَمَا بالآسِ مِنْ بَاس.

رأى المُحَبِّينَ قَدْ أَوْدَى السِّقَامُ بِهِمْ فَجَاءَهُمْ لِعِلَاجِ السُّقْمِ بالآسِي.

وردت لفظة (آس، آسي) في البيت الشعري على أساس معنى واحد ، لكن لكل منهما معنى فالأولى بمعنى الزهر لكن الثانية بمعنى الطبيب، ووجه حسن هذا النوع كما يقول الجرجاني إنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالياء من(آسي) أنها هي الكلمة التي

1- المصدر السابق : ص 338.

2- المصدر نفسه : ص 239.

مضت، وإنما أتى بها للتوكيد، حتى إذا تمكن آخرها في نفسك ووعاه سمعك إنصرف عنك ذلك التوهم.[1]

ومن ذلك أيضا قوله في تعديد محاسن آثار الغني بالله:[2]

في جَذْوَةٍ قد أَحْرَقُوا في لُجَّةٍ قد أَغْرَقُوا وَرَدُوا بِهَا لَمْ يُصْدِرُوا.

ظهر الجناس الناقص في لفظتا (أحرقوا وأغرقوا) ففي هذين اللفظتين نجد أن الفونيمات متشابهة لكن الإختلاف الوحيد ظاهر في الحرف الثاني فكل منها يحمل حرف مخالف للآخر. فعند قراءة البيت الشعري نجد أن هناك إنتظاما في الصوت الموسيقي رغم أن المعنى مختلف، لكن كلاهما مصيبة فيها مضرة للإنسان تؤدي إلى ألم وحزن شديد.

1- عبد العزيز عتيق : علم البديع ، المرجع السابق، ص 207.

2- المرجع نفسه : ص 45.

III - الموسيقى الشعرية

أولا: إيقاع داخلي:

أحيانا يحدث داخل النص الشعري إيقاعات تطرب السامع ويحلوا تكرارها على الألسن وتوجه الجملة الشعرية عبر أساليب عربية خالية من التعقيد، وتحدث إنسجام صوتي داخلي المرتبط بالتأثيرات العاطفية الناشئة من التجربة الشعرية.

1 التصريع:

إن التصريع مأخوذ من المصارعين الذي هما بابا البيت الشعري والتصريع في الشعر جعل نهاية الشطر الأول مشابهة لنهاية الشطر الثاني، وأكثر ما يكون هذا في البيت الأول من القصيدة. وبمعنى آخر هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقصه وتزيد بزيادته.[1]

إذ يعتبر الجوهرة المساعدة على نسج نظام القصيدة، وأضاف للبيت الشعري لونا موسيقيا يقرع سمع القارئ، فإن للبيت الشعري في حد ذاته أهمية يقول ابن رشيق «والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية، قراره الطبع وسمكه الرواية، دعائمه العلم، بابه الدربة، ساكنة المعنى، لا خير في بيت غير مسكون، وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين، والأمثلة للأبنية زينة مستأنفة ولو لم تكن لا ستغني عنها، فالبيت الشعري له أهمية كبرى.[2]

1- ابن رشيق القيرواني : العمدة ، ج1 ، المصدر السابق ، ص 149.

2- المصدر السابق : ص 121.

وهاهو التصريع قد كسى شعر ابن زمرك فقد إستعمله بكثرة سواء في مطالع قصائده أو مقطوعاته وهذا راجع إلى مدى تبيين بلاغة الشاعر وإقتداره على الصنعة، يقول الشاعر:[1]

أطَلَّ على أعلى اليفاع مَنَارُ بمَرْقَبِهِ زُهْرُ النُّجوم تَغَارُ.

تمثل التصريع في كلمة (منار) الواردة في صدر البيت وكلمة (تغار) الواردة في عجزه، فكلاهما ينتهي بحرف الراء المضمومة الدالة على مدى فرحة الشاعر برؤية منظر الدشار وإشتماله على مباني حسنة وآثار جميلة ومنظر خلاب يرد الروح ويخرج الإنسان من حالة حزينة إلى حالة كلها فرح. وأحيانا يلجأ الشاعر إلى التصريع لإثراء معجمه الإيقاعي والتأثير في النفس وجعل العروض مقفية تقفية الضرب، يقول:[2]

عزاءٌ فَعَفْوُ الله للميت شامل وصبرًا فَلُطْفُ الله لِلْحَيِ كَافِلُ.

في هذا البيت تصريع بين كلمتي (شامل، كافل) كلاهما ينتهي بحرف واحد ألا وهو(للام) وهذا الأخير حرف من الحروف التي تحدث إيقاعا مؤثرا بالنفس والحس ، فقد وقع هذا الحرف في غرض الرثاء الذي يسوده الأنين والدموع والألم الشديد ، فلا يحتاج إلى صوت عال وحروف مفخمة، فالمشاعر التي يود شاعرنا إيصالها من خلال كلماته تحتاج إلى حروف رقيقة وبسيطة تعبر عما يكمن في داخل الإنسان.

1- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 305.

2- المصدر نفسه : ص 283.

2 الترصيع:

الترصيع من المحسنات البلاغية اللفظية (محسن إيقاعي) يأتي في النثر والشعر على حد سواء.

سمي ترصيع لأنه يشبه ترصيع غمد السيف الذي عادة يكون متطابقا من الجانبين فيحافظ على مرصعه على نفس النقوش ونفس الأسلوب والشكل، أما من الناحية الشعرية هو الإتيان ببيت تكون الكلمات في عجزه على نسق ترتيب صدره بنفس الترتيب ونفس الفواصل أما أبو هلال العسكري يقول: «هو أن يكون حشو البيت مسجوعًا» [1]. وابن سنان يعرفه: «هو أن يعتمد تصيير مقاطع الأجزاء في البيت المنظوم من الكلام المنثور مسجوعة وكأن ذلك يشبه بترصيع الجوهر في الحلي..... ولا يحسن إذا تكرر وتوالى لأنه يدل على التكلف وشدة التصنع، وإنما يحسن إذا وقع قليلا غير نافر»[2]. وأكد أبو هلال العسكري أن أصله آت من قولهم «رصعت العقد إذا فصلته».[3]

يقول الشاعر:[4]

أَغْنَى العُمَاةَ بِسَيْبِهِ وتَوَالِهِ أَفْنَى العُدَاةَ بِسَيْفِهِ وسِنَانِهِ.

ظهر في هذا البيت ترصيع فالكلمات الموجودة في عجز هذا البيت (أفنى، عداة، سيفه) تسير على نسق ترتيب الكلمات الواردة في صدره (أغنى، عفاة، سيبه) فالحروف الطاغية

1- أبو هلال العسكري : الصناعتين ، المصدر السابق ، ص 416.
2- ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان ، 1998، ص 190.
3- أبو هلال العسكري : الصناعتين ، المصدر السابق ، ص 416.
4- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 357.

في الصدر نفسها الطاغية في عجزه ، وهذا ما ضمّن البيت الشعري إيقاع وتوازن صوتي وأكدت لنا هذه الحروف على أن كلمات الشاعر كلمات سلطانية ودرر منظوماته تيجانية، وفي قصيدة أخرى يقول:[1]

طَلَعْتَ بِحَيْثُ البَدْرُ لَمْ يَكُ طَالِعًا فَرَعْتَ بِحَيْثُ النَّجْمُ لَمْ يَكُ فَارِعًا.

لم يكن الترصيع في هذا البيت شاملا الكلمات فقط بل حتى رنين الحركات متساو في صدر وعجز هذا البيت (طَلَعْتَ= فَرَعْتَ) (بِحَيْثُ= بِحَيْثُ) (البَدْرُ= النَّجْمُ) (طَالْعًا= فَارْعَا). ويمكن من خلال هذا التنويع أراد الشاعر لفت إنتباه السامع وإطرابه وخلق نوع من الانسجام داخل النص، وبتعبير آخر إعتبر الشاعر هذا النوع الموسيقي وسيلة لتعديد محاسن أقرب الناس إليه والتذكير بأهم جمائله عليه وعلى الناس أجمعين.

ثانيا: إيقاع خارجي:

1 **الوزن:**

الشعر كلام بليغ مبني على الإستعارة والأوصاف، مفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي فالوزن سمة أساسية ورئيسية في الشعر العربي وأعظم أركانها [2] ويعرف بأنه مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت الشعري .[3] ويعد الوزن أحد دعائم وركائز الشعر له خصائص صوتية ونغمات موسيقية فعالة تجعل الشعر أسهل على اللسان وأخف على

1- المصدر السابق : ص 170.

2- ابن رشيق القيرواني : العمدة ، ج1 ، المصدر السابق ، ص 121.

3- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، (د. ط) ،القاهرة، مصر، 1980، ص 436.

الأسماع وأسهل للحفظ[4] وأكد العروضي أن الوزن أعظم حد الشعر وأولا به خصوصية وعدّه أساس الإيقاع في الشعر لأنه يضبط المستويات الصوتية والحروف والكلمات، وما تكون من مقاطع وأجزاء وينظم العلاقات التنغيمية بينها [1] وبصيغة أخرى هو جملة التفعيلات التي يتألف منها البيت.

وإذا وقفنا عند البحور التي إختارها ابن زمرك في شعره وعدّها محور قصائده نجدها عديدة ومتنوعة لكن متفاوتة بشكل كبير، فهذا جدول يوضح البحور التي نظمها الشاعر وهي مرتبة ترتيبا تنازليا:[2]

اسم البحر	عدد القصائد	اسم البحر	عدد القصائد
الطويل.	170	الوافر.	12
الكامل.	121	المتقارب.	10
البسيط.	62	المجتث.	09
الخفيف.	45	الرجز.	07
الرمل.	25	السريع.	06

4- محمد النويهي : قضية الشعر الجديد ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، (د. ط) ، مصر، 1964، ص 28.

1- محمد العروضي : الجامع في العروض والقوافي، تحقيق: زهير غازي ، عصمي للنشر والتوزيع ، ط 1، القاهرة ، 1996، ص 123، 124.

2- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 611.

ومن الملاحظ في هذا الجدول أن ابن زمرك مقلد للنهج الذي سار عليه الشعراء المتقدمون فهم يلجؤون في أغلب أشعارهم إلى بحور الطويل، الكامل، البسيط، فمن الناحية النسبية نجد نسبة البحر الطويل بلغت 44،% أما الكامل 42،% والبسيط 10 %، والبقية من أشعاره البالغة 3% جاءت على بقية البحور.[1]

إستخدام الشاعر لهذه البحور لم يأت عبثا بل كان نتيجة الظروف التي قيل فيها الشعر.

أحيانا نجد أن الشاعر عندما يكون في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزنا طويلا كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما ينفس عن حزنه وجزع ه[2]. ومن أمثلة هذا ما يقوله للحبيبة وهو في حالة تألم :[3]

(من بحر الطويل)

لَكَ الخَيْرُ قَدْ أَصْمَيْتُ قَلْبِي هَازِيَا كأنَّكَ قد جَهَّزْتَ للْحَرْبِ غَازِيَا.

أما الوزن الثاني الذي حظي بمكانة مرموقة وكان من أصحاب الدرجات الأولى عند الشاعر هو البحر الكامل ، قيل أنه بحر كأنما خلق للتغني المحض فقد إعتبر الشاعر هذا البحر بمثابة الصديق الحميم الذي يعبر له عن عواطفه وأحاسيسه ومعانيه، فقد تناول جميع الأغراض فيه كونه أقرب إلى الرقة و الهدوء وبعيد عن الخشونة والحدة ويضفي

1- أحمد سليم الحمصي : ابن زمرك سيرته وأدبه ، المرجع السابق ، ص 244.

2- إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 5، القاهرة ، 1978، ص 177.

3- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 315.

لون من الطواعية على بنية التعبير الشعري. يقول الشاعر وهو يصف مجلس انتظم الأنس بشمله:[4]

(من بحر الكامل)

هَذَا الصَّبَاحُ وأنت غُرَةُ وَجْهِهِ فَانْعِمْ بِهِ مُتَوَاصِلَ الأَفْرَاحِ.

أما في المرتبة الثالثة فيأتي البحر البسيط والذي ورد في 62 قصيدة. والبسيط يقرب من الطويل لكن يفوته في الرقة والجزالة إذ كثر في الجاهلية وشعر المولدين وسمي بسيطا لسهولته في الذوق وبساطته.[1] يقول ابن زمرك:[2]

(من بحر البسيط)

قَطَعْتُ لَيْلَ شَبَابِي في بُلَهْنِيَةٍ ونِحْلَتِي في التّصابي أَكْرَمُ النِّحَلِ.

أكد الشاعر أن شبابه ضيعه في الرخاء وسعة العيش لكن دوام الحال من المحال، فالمشيب في آتٍ آتٍ لا مرد له.

4- المصدر نفسه : ص 297.

1- جلال الحنفي : العروض تهذيبه وإعادة تدوينه ، مطبعة الإرشاد، ط2، بغداد، 1982، ص 205.

2- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق، ص 322.

3- الجاحظ : البيان والتبيين ، المصدر السابق، ص 179.

والتحدث عن أيام الشباب والصبا تتطلب استخدام ألفاظ بسيطة وسهلة كي توصل لنا ما يود الشاعر قوله فكان ملجأه الوحيد استخدام البحر البسيط.

2 - **القافية:** اهتدى العرب إلى القافية منذ عهد بعيد ووضعوا لها قواعد واسم خاص لكن اختلفوا في تعريفها فقد تعددت مفاهيمها. فالجاحظ يقول: «القوافي خواتم أبيات الشعر»[3] أما الخليل أقر أن القافية آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع ما قبله، أي مجموع الحروف المتحركة التي بين الساكنين في البيت إذا وجدت مع ما قبل الساكن الأول.

ويقر إبراهيم أنيس أنها مجرد أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، فهي فواصل موسيقية تطرف الآذان في فترة زمنية منتظمة وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن.[1]

ومن أمثلة القوافي في شعر ابن زمرك قوله في غرض الشكر:[2]

(من بحر الكامل)

ياطَلْعَةَ الصُّبْحِ المُبِينِ ومُخْجِلَ الـــ بَدْرِ المُنِيرِ إذا بَدَا في مَوْكَبِ.

فلفظة "موكب" في عجز البيت تمثل القافية، بمعنى:

"موكبي" ←القافية.

1- إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر، المرجع السابق ، ص 246.

2- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق، ص 85.

° // °/

والقافية أنواع مقيد ما كان حرف الروي ساكنا والمطلق هو ما تبع حرف رويه وصل فقط والوصل أحد أربعة أحرف الياء والواو والألف والهاء ينفرد كل منها بالقصيدة حتى تكتمل.[3]

من أجود قصائد ابن زمرك قصيدة مديحة تتضمن القافية المطلقة، يقول:[1]

(من بحر الكامل)

لَكَ مِنَ الكَمَالِ مظاهِرُ لا تُلحقُ فَبِكُلِّ شَأوٍ للمَكَارِمِ تَسْبِقُ.

مَوْلَايَ يَا مَعْنَى الجَمَالِ وس رّهُ والكونُ ألسُنُه بفضلك تنطقُ.

أما القافية المقيدة ظهرت بشكل ضئيل في شعره من مثيل هذا قوله في رسالة بعثها لأستاذه ابن الخطيب:[2]

(من بحر الطويل)

3- ابن رشيق القيرواني : العمدة ، المصدر السابق ،ج1، ص 155، 156.

1- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 262.

2- المصدر السابق : ص 369.

وحقك ما اسْتَطَعَمْت بعدك غِمضة من النّوم حَتَّى آذَنَ النَّجْمُ الغُرُوبُ.

وعَارَضْتُ مَسْرَى الرِّيحِ قُلْتُ لَعلّها تَنِمُّ برياً منك عَاطِرةَ الهُبوبْ.

وكانت الحروف التي التزمها ستة أعطى علماء القوافي كلا منها اسما خاصا به [3] وقد جمعها

صفي الدين الحِلِيِّ في قوله:[11]

مَجْرَى القَوَافِي في حُرُوفٍ سِتَّةٌ كَالشَمْسِ تَجْرِي في عُلُوِّ بُرُوجِهَا.

تَأْسِيسُهَا وَدَخِيلُهَا مَعَ رِدْفِهَا وَرَوِيُّهَا مَعَ وَصْلِهَا، وَخُرُوجِهَا.

ولا يكون الشعر مقفى إلا إذا اشتمل على الروي وتكرر في جميع الأبيات. فالروي فيه من التمكن ما ليس في غيره من الحروف اللازمة في القوافي ويعرف الروي بأنه الحرف

3- حسبن نصار : القافية في العروض والأدب ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 ، بورسعيد ، 2001 ، ص40.

1- موسى الأحمدي : المتوسط في الكافي في علمي العروض والقوافي ، دار العلم للملايين، ط 2 ، بيروت ، 1969 ، ص 355.

2- حسبن نصار : القافية في العروض والأدب ، المرجع السابق، ص41.

الذي يلزم في آخر كل بيت ولذلك تُنْسَبُ إليه القصيدة فيقال الهمزية للقصيدة التي رويها الهمزة، والبائية للقصيدة التي رويّها الباء.[2] ومثال ذلك قول الشاعر:[3]

(من بحر الطويل)

نُجوم أَمَدَّتْهَا بُدور كواملُ لها النُّورُ من شَمْسِ الخِلاَفَةِ شامِلُ.

القافية في هذا البيت الشعري "شامل" أما حرف الوري "اللام" إذ نجد أن نسبة حرف اللام في الروي هي الطاغية في ديوان الشاعر إذ بلغت عدد القصائد فيه 170 مقطوعة، وللروي دور بارز في إضفاء النغمات الموسيقية يقول الشاعر في إحدى قصائده:[1]

(من بحر الطويل)

تُجالسنا فيها النجوم التواقِبُ فَتَخْجَلُ منك الحُلَى والمناقِبُ.

فقافية البيت "ناقبو" وإذا قسمناها حسب الحروف نعد الألف تأسيسا وهذا الأخير يعرف بأنه ألف ساكنة قبل الروي. [2] والقاف دخيلا والدخيل هو الحرف المتحرك بين الروي والتأسيس[3]. والباء رويا والواو وصلا.

3- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق ، ص 450.

1- المصدر السابق : ص 66.

2- محمد العروضي : الجامع في العروض والقوافي ، المرجع السابق ، ص 274.

3- المصدر نفسه : ص 274.

4- محمد بن يوسف الصريحي : ديوان ابن زمرك ، المصدر السابق، ص 88.

يقول الشاعر:[4] (من بحر الكامل)

والله ما أَدْرِي أَفِي حُلُمٍ أنا أَمْ مِنْ جِنَانِ الخُلْدِ مَا يَلْتَاحُ.

القافية في هذا البيت مردفة (تاحو) فالألف ردف ، لأن الردف هو ألف ساكنة أو واوا أو ياء إلى جانب الروي[5] والحاء روي والواو وصل.

5- محمد العروضي : الجامع في العروض والقوافي ، المرجع السابق ، ص 273.

خاتمة

من على شرفة ما تقدم من البحث يمكن الخلوص إلى جملة من النتائج المختلفة التصنيف، والتي كانت ثمرة هذه المحاولة في رصد أهم الأغراض الشعرية في شعر ابن زمرك الغرناطي. وهي كالآتي :

1 - كان للظروف السياسية و الإجتماعية التي عاشتها مملكة غرناطة الأثر البليغ في بروز العديد من الفنون كالمدح و الرثاء و الوصف الذي إنتشر بصورة مذهلة بالإظافة إلى العمران الذي يُعد عاملا أساسيا أسهم في تطور الشعر الأندلسي.

2 - رغم الحياة البسيطة التي عاشها الشاعر إلاّ أنّ هذا لم يمنع من تأهيله إلى درجة الشعراء الفحول فذكاءه و دهاءه و تواصله مع أعظم الشيوخ الأدباء هو السبب الرئيسي في نجاحه.

3 - إمتياز الشعر الأندلسي بجملة من الخصائص في آخر مراحل تطوره و بالأخص في شعر آخر فحول الأندلس ابن زمرك الغرناطي.

4 - أغراضه طرقت جميع الأبواب فقد مدح صادقا و تغزّل عاشقا ورثى باكيا ووصف ونقش وأجاد وبالمقابل تناول أغراض أخرى بشكل سطحي فكان صاحب واجب في التهنئة وناقد لكل شارب خمر وزاهدا في حياته و مستعطفا في أصعب حالاته.

5 - كان تأثره واضحا بالقرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و بالشعراء العرب إذ أكسب شعره الوضوح والقوة و المتانة بالإضافة إلى إستخدامه لألوان البديع و البيان التي وظّفها في خدمة المعنى.

6 - لغته بسيطة تميّزت بالملاءمة بين اللّفظ و المعنى.

7 - نسج قصائده على بنية إيقاعية مُحكمة تتوافق مع موضوعاته فمن البحر التّي أكثر من إستخدامها الكامل، الطويل والبسيط. كما ركّز على أسلوب التكرار.

قائمة المصادر و المراجع

❖ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولا : المصادر

1) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج4، (د. ط) ،(د. ب) ، 555م.

2) البخاري . (محمج ابن اسماعيل) : صحيح البخاري ، تحقيق: محمد بن زهير بن ناصر ، ج9 ، دار طوق النجاة ، ط1 ، دمشق ، 1422ه .

3) الجاحظ . (أبو عثمان عمرو بن بحر) : البيان و التبين ، تحقيق: عبد السلام هارون ج2 ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة ، ط1 ، القاهرة ، 1961.

4) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان ، ج4 ، دار احياء التراث العربي ، ط2 ، بيروت ، 1972م ــ.

5) ابن الخطيب . (لسان الدين محمد بن عبد الله) : الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : عبد الله عنان ، م1 ، مكتبة الخانجي ، ط2 ، القاهرة 1393هــ، 1973م ص 134.

6) ابن الخطيب : الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة، (د ، ط) ، بيروت ،1983.

7) الخطيب التبريزي : شرح ديوان أبي تمام، تقديم: راجي الأسمر، ج 2 ، دار الكتاب العربي للنشر، ط2 ، بيروت، 1994.

8) ابن الخطيب: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: محب الدين الخطيب، م1 ،المطبعة السلفية، القاهرة ، 1347ه .

9) ابن خلدون : المقدمة ، دار الجيل مكتبة الهلال (د ، ط) بيروت ، 1986.

10) ابن خلدون : رحلة بن خلدون غربا و شرقا ، تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي ، دار الكتاب اللبناني ، (ب ، ط) بيروت ، 1979م .

11) ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، تحقيق: محمد محي الدين ، ج1 ، دار الجيل للنشر و التوزيع ، ط5 ، بيروت ، لبنان ، 1401هـ - 1981م .

12) الزمخشري . (محمود بن عمر) : أساس البلاغة ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، (ب ، ط) ، بيروت ، (ب ، ت).

13) ابن زمرك . (محمد بن يوسف الصّريحي) : ديوان إبن زمرك ، تحقيق : محمد توفيق النيفر ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ص 1997.

14) أبو القاسم الكلاعي : أحكام صنعة الكلام ، تحقيق : محمد رضوان الداية (ب ، ط)، بيروت 1966.

15) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط3، (د. ب) ، 2001.

16) قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية (د. ط) ، بيروت ، (د. ت) .

17) قدامة بن جعفر : نقد النثر ، دار الكتب العلمية ، (ب ، ط) ، بيروت ، لبنان 1980 .

18) محمد العروضي : الجامع في العروض والقوافي، تحقيق: زهير غازي عصمي للنشر والتوزيع ، ط1، القاهرة ، 1996 .

19) محمد الكوفي : مبادئ النقد الأدبي ، تقديم: محمد عناني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د. ط) ، القاهرة ، 2007 .

20) المقري . (أحمد بن محمد التلمساني) : أزهار الرياض في أخبار عياض تحقيق : مصطفى السقا ، ج2، مطبعة فضالة المغرب .

21) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج1، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت لبنان ، 1415هـ - 1995م.

22) ابن منظور. (أبو الفضل جمال الدين الأنصاري) : لسان العرب دار صادر، (د .ط) مادة " م ، د ، ح " ، بيروت ، لبنان ، (ب ، ت) .

23) أبو هلال العسكري : الصناعتين ، تحقيق: على البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، ط1، (د. ب) ، 1952.

ثانيا : المراجع

1. ابراهيم أبو الخشب : تاريخ الأدب العربي في الأندلس ، دار الفكر العربي، ط1 مصر ، 1966
2. ابراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ج2 ، دار قباء للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة ، 2000.
3. ابراهيم أنيس : موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 5، القاهرة ، 1978.
4. أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في أدبيات و انشاء لغة العرب ، ج1 ، مطبعة السعادة ، (د. ط) ، مصر ، 1965م.
5. أحمد ثاني الدوسوري : الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر بني الأحمر ، المجمع الثقافي ، (د ، ط) أبو ظبي ، 2004 .
6. أحمد سليم الحمصي : إبن زمرك الغرناطي ، سيرته أدبه ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، بيروت ، 1985م.
7. أحمد فوزي الهيب : الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، بيروت ، 1986 .

8. آزاد محمد الباجلاني : المجالس الشعرية في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار غيداء للنشر و التزيع ، ط1 عمان ، الأردن ، 2013م – 1434ه.

9. امحمد بن لخضر فورار : الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية دراسة موضوعية وفنية ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، (د. ط) ، بسكرة ، الجزائر 2009 .

10. امحمد بن لخضر فورار : من شعراء الأندلس و مختارات من شعرهم ، جامعة محمد خيضر ، ط1 ، بسكرة ، الجزائر ، 2013.

11. بطرس البستاني : أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث ، دار مارون عبّود ، (د. ط) ، بيروت ، (د. ت).

12. جبّور عبد النور : المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، ط2 ، بيروت ، 1984.

13. جلال الحنفي : العروض تهذيبه وإعادة تدوينه ، مطبعة الإرشاد، ط$_2$، بغداد 1982.

14. جلال الدين محمد القزويني : التلخيص في علوم البلاغة ، دار الكتاب اللبناني، (د. ط) ، بيروت ، لبنان ، 1975.

15. حسين نصار : القافية في العروض والأدب ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 بورسعيد ، 2001 .

16. حمدان حجاجي : حياة و آثار ابن زمرك ، ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب ، (د، ط) ، الجزائر 1989 .

17. حمدان حجاجي : شعر و موشحات الوزير ابن زمرك، المؤسسة الوطنية للكتاب و ديوان المطبوعات الجامعية ، (د. ط) الجزائر ، 1989 .

18. خالد إبراهيم يوسف : الشعر العربي أيام المماليك و من عاصرهم من ذوي السلطان ، (د، د) ، ط1 ، بيروت ، لبنان 2003.

19. ربيعة بن ثابت الرقي : شعر ربيعة الرقي، تحقيق: نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (د. ط) ، دمشق ، 1980.

20. عبد الرحمان علي الحجي : التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حت سقوط غرناطة ، دار القلم ، ط2 ، بيروت ، 1981م .

21. عبد الرشيد عبد العزيز سالم : شعر الرثاء العربي ، وكالة المطبوعات ، ط1 الكويت ، 1982م.

22. الزرقاني محمد عجاج : الدراسات الأدبية ، مراكز المناهج التعليمية و البحوث التربوية ، (د ، ط) ، ليبيا ، 2014 _ 2015 .

23. سالم عبد الرازق سليمان : ترسل الشعراء في الأندلس ، دار المعرفة الجامعية (ب ، ط) ، الإسكندرية ، 2008.

24. سامي يوسف أبوزيد : الأدب الأندلسي ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، ط1 ، عمان ، الأردن 2012م – 1433هـ .

25. سعيد أحمد غراب : أطياف من تاريخ الأدب العربي و نصوصه في الأندلس دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع ، ط1 ، القاهرة ، 2010.

26. سعيد بو فلاقة : الشعر النسوي الأندلسي أغراضه و خصائصه الفنية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 ، الجزائر ، 1995.

27. ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية، ط$_1$، لبنان ، 1998.

28. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات الأندلس، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1989.

29. عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية (د، ط) بيروت ، لبنان ، (د ، ت).

30. عبد العزيز عتيق : علم البيان ، دار النهضة العربية ، (د. ط) ، بيروت ، لبنان، (د. ت).

31. علي بو ملحم : الأدب و فنونه ، المطبعة العصرية ، (د. ط) ، لبنان ، 1970.

32. عمر إبراهيم توفيق : الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس ، موضوعاته و فنونه ، ددار غيداء للنشر ، ط1 ، العراق 1433هـ – 2012م .

33. عيسى خليل محسن : أمراء الشعر الأندلسي ، دار جرير للنشر و التوزيع، ط1، عمّان، الأردن، 2007.

34. فاطمة عمراني : المدائح النبوية في الشعر الأندلسي ، المجمع العالمي لأهل البيت ، ط1 ، (د ، ب) ، 1428هـ .

35. فايز الداية : جماليات الأسلوب ، دار الفكر المعاصر، ط2، (د. ب) ، 1411.

36. فرحات يوسف شكري : غرناطة في ظل بني الأحمر ، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع ، ط1 ، بيروت ، 1982 م.

37. فهد ناصر عاشور : التكرار في شعر محمود درويش ، دار الفارس، ط1 الأردن ، 2004.

38. ماريا جيسيوس : الأدب الأندلسي ، ترجمة: أشرف دعدود ، المجلس الأعلى للثقافة ، (د. ط) ، القاهرة ، 1999م .

39. محمد النويهي : قضية الشعر الجديد ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، (د. ط) مصر، 1964.

40. محمد رجب البيومي : الأدب الأندلسي بين التأثر و التأثير ، إدارة الثقافة و النشر ، (د. ط) ، السعودية ، 1980م.

41. محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس و تاريخ العرب المنتصرين، مكتبة الخانجي ط3 ، القاهرة ، 1966م.

42. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، (د. ط) ،القاهرة، مصر 1980 ، ص 436.

43. مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، دار العلم للملايين ط5 ، بيروت ، 1983.

44. مصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، دار المعارف ، ط5، مصر، 1966 .

45. مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب ، ج3 ، دار الكتاب العربي ط1 بيروت ، 1974 .

46. موسى الأحمدي : المتوسط في الكافي في علمي العروض والقوافي ، دار العلم للملايين، ط2، بيروت ، 1969 .

47. نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين ، ط8 ، بيروت 1983.

48. نبيل أبو حلتم : اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع هجري ، دار الثقافة (د. ط) ، قطر ، الدوحة ، 1985.

49. يوسف أبو العدوس : التشبيه والاستعارة ، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، ط1 عمّان، الأردن، 2007.

ثالثا : الرسائل الجامعية

1) أضحنا واني بنت عبد الغفار : التهاني و التعازي في تسهيل السبيل إلى تعلم الترسيل ، لأبي عبد الله الحميدي، دراسة و تحليل ، ماجيستير ، كلية معارف الوحي و العلوم الإنسانية ، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا، 2007م.

2) داحو آسية : الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية ، ماجستير، كلية الأدب عربي، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 2009 .

3) طارق محمد السلامين : أثر القرآن الكريم في الخطاب النثري الأندلسي ، ماجستير ، كلية الأدب عربي ، جامعة مؤتة، 2010 .

رابعا : المجلات و الدوريات

1) أمل صالح رحمة : باعث العاطفة في حقول التراجيديا في الشعر الأندلسي ، مجلة البحوث التربوية والنفسية ، العدد17 .

2) جغام ليلى : رثاء المدن بين سقوط الأندلس و أحداث الثلاثاء الأسود ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر ، عدد4 ، جانفي ، 2009.

3) عبد اللطيف حنّا : نسيج التكرار بين الجمالية والوظيفة ديوان الربيع بوشامة أنموذجا ، مجلة علوم اللغة العربية ، مطبعة منصور ، الوادي ، الجزائر، عدد 4 2012.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

مقدمة ....أ

مدخل : بيئة الشاعر و حياته..... 5

أولا : بيئة الشاعر :..... 6

1- البيئة السياسية..... 6

2- البيئة الإجتماعية..... 10

3- البيئة الأدبية..... 14

ثانيا : حياة الشاعر :..... 16.

1- نشأته و تكوينه..... 16

2- أخلاقه و صفاته..... 18

3- إنتاجه الشعري..... 19

4- معاداته لابن الخطيب..... 21

5- السنوات الأخيرة من حياته 22

الفصل الأول : الأغراض الشعرية في ديوان ابن زمرك " دراسة موضوعية "..24

1- المديح 25

2- شعر النقوش 33

3- الغزل..... 36

4- الوصف 42

5- الرثاء 49

أغراض أخرى 53

1- التهنئة 53

2- الخمريات 56

3- الزهد و التصوف 57

4- الإستعطاف 59

الفصل الثاني : الأغراض الشعرية في ديوان ابن زمرك " دراسة فنية "..... 60

اللغة و الأسلوب 61

أولا : المعجم الشعري 61

1- ألفاظ الطبيعية 63

2- ألفاظ الحزن و الألم 65

3- التكرار 67

ثانيا : مصادر ثقافة الشاعر..... 70

1- القرآن الكريم 70

2- الحديث النبوي الشريف 74

3- الشعراء االعرب 76

I. الصورة الفنية 78

أولا : الصورة البيانية 78

1- التشبيه 78

2- الإستعارة 81

ثانيا : المحسنات البديعية 83

1- الطباق 83

2- الجناس 86

II. الموسيقى الشعرية 89

أولا : ايقاع داخلي 89

1- التصريع 89

2- الترصيع..... 91

ثانيا : إيقاع خارجي 92

1- الوزن 92

2- القافية 95

خاتمة 100

قائمة المصادر و المراجع..... 102

الفهرس..... 111

ملخص

يضم هذا البحث بين طياته دراسة تقليدية بحتة، نظرت للأغراض الشعرية في ديوان ابن زمرك. ووزع هذا البحث على مدخل و فصلين. خصص المدخل لأحوال البيئة في مملكة غرناطة وعن حياة الشاعر. أما الفصل الأول كرّس لتتبع أهم الأغراض الشعرية المتناولة في ديوانه كالمدح, شعر النقوش, الغزل... و تناول الفصل الثاني السمات الفنية في شعره فبينت مدى تأثره بالنزعة الفنية و الأدبية بالإضافة إلى الصور الفنية و الصور الشعرية و ختمته بأبرز النتائج .

Résumé

« Ibnou Zamrouk el gharnati » s'impose comme étant un des plus célèbres poètes de l'Andalousie. Ces qualités poétiques lui ont valu l'estime, il parait comme le chantre de la passion, du charme et de la séduction.

Cette recherche est fondée sur une introduction et deux chapitres.

J'ai traité dans mon introduction l'environnement et l'entourage dans lequel il a évolué ainsi que sa propre vie pluridimentionnelle au royaume des « Beni El Ahmar »

Le premier chapitre renferme la conception de l'art poétique dans son ouvre : Aspects mélioratifs ou dépréciatifs, charme séduction, amour, jugements… etc.

En même temps, j'ai finalisé ma recherche dans le deuxième choix par l'aspect artistique dans ses poèmes. Par la manière dont il a influencé, par celle dont il a été influencé, ma multiplicité d'images dans ses écrits paraissent lucidement appréciables.

En conclusion, j'ai valorisé les plus intéressantes interprétations .

ملخص

يعد ابن زمرك الغرناطي من ألمع شعراء الأندلس و أبرزهم و أحبهم الى الأسرة الحاكمة يعرف بشاعر الحمراء نظرا لكثرة قصائده المنقوشة على قصور بني الأحمر اذ كانت جدرانها مخصصة لأبياته الشعرية و قد اهتم الباحثون بعدة جوانب لديه منها: حبه للغنى بالله ، مكانته الأدبية باعتباره شاعرا مبدعا بليغا و دوره السياسي الذي تقلب فيه بين الوزارة و السجن. و بما أن ديوانه تعكس ملامح عصره و يحتوي على العديد من الأغراض الشعرية حاولت دراسته من ناحيتين: ناحية موضوعية و أخرى فنية فجاءت الدراسة معنونة ب :

" الاغراض الشعرية في ديوان ابن زمرك الاندلسي " و بالمقابل الاجابة على العديد من الاسئلة منها :

1 - من هو الشاعر ابن زمرك؟

2 - ما هي أهم الأغراض الشعرية المتناولة في ديوانه ؟

و استقام البحث على مدخل و فصلين و خاتمة ، اذ خصص المدخل لأحوال البيئة في مملكة غرناطة مبتدئة بالحياة السياسية التي شهدت تدهورا و اضطرابا و انحطاطا و خذا راجع لكثرة الحكام .

ففي البداية كان الحكم لمحمد بن يوسف النصري المعروف بابن الأحمر بعده جاء ابنه محمد الفقيه الذي حقق العديد من الانتصارات ثم جاء نصر بن محمد الثالث 708 الذي هزم فرناندوا الرابع و بعده جاء يوسف الاول 733هـ ثم وصل الحكم لمحمد الخامس 755 ه قسمت خلافته الى مرحلتين م1 (755ه – 760ه) م2 (763ه – 793) تفصل بينهما 3 سنوات فر فيها مع ابن الخطيب نحو الدولة المرينية و عند عودته ثار الصراع بينهما و فر ابن الخطيب الى السلطان المريني و اقنعه بضم غرناطة اليه لكن محمد الخامس تصدى لهذا و اخذ ابن زمرك مكانه ثم حكم محمد السادس ثم يوسف

الثالث ثم محمد السابع الذي اعتمد على عائلة بنو سراج لكن خذا لم ينجح ثم انتقل الحكم الى الغالب بالله (ابو الحسن) في بداية حكمه كانت غرناطة تقترب من التحرر فهو معروف بالبسالة و الاقدام لكن هذا لم يلبث طويلا فقد بلغت النزاعات و الصراعات ذروتها بين الاب الغالب بالله و الابن ابو عبد الله و الاخ ابا عبد الله المعروف بالزغل فعوض ان يكون الصراع خارجي بين غرناطة و قشتالة اصبح الصراع داخلي و هذا ما ادى الى ضعف المملكة و تسليمها و هكذا انطوى آخر صفحة من تاريخ الاندلس التي صمدت لاقرون من 92ه – 898ه / 710م – 1492م

ثم تابعت الحديث في هذه الرسالة عن الحياة الاجتماعية التي شهدت تطورا و ازدهارا و هذا راجع لعدة عوامل اذكر .

– اعتنائهم بالنظافة و انشائهم للعديد من الحمامات اعتبار المنزل الغرناطي احد معالم الحضارة الاندلسية

– شكلهم حسن

– اعطاء المرأة مكانة مرموقة

– الاعتناء بالجانب العمراني

– التنويع في الاحتفالات باالأعياد

أما الحياة الادبية كانت راقية ومتطورة الى حد بعيد فقد كان ملوك بنو الأحمر من حماة الادب و العلوم فالعلم عندهم مقدر و العالم معظم من الخاصة و العامة اذ ظهر العديد من العلماء في شتى المجالات نذكر .

الفقيه ابراهيم موسى ، الشاعر ابن زمرك و ابن الخطيب عالم الفلك يحي بن رضوان ، الحكيم و الفيلسوف يحي بن هذيل الطبيب محمد الشقوري.

و بعد الحديث عن بيئة ابن زمرك عرجت الى الحديث عن حياته فتحدثت عن نشاته و تكوينه : هو ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد المعروف بابن زمرك ولد سنة 14 شوال 733ه 9 جوان 1333م و هي نفس السنة التي بويع فيها الحجاج يوسف ولد يحي البيازين في اسرة فقيرة ابوه حداد و سبب ضعفه و قصر قامته وجه الى الكتاب اخذ علم النحو عن ابي عبد الله الفخار / مناهج الصوفية عن بن مرزوق ، أما تكوينه في الشعر و الأدب كان على يد أبا عبدالله الّوشي و لسان الدين بن الخطيب .

ثمّ تحدثت عن أخلاقه و صفاته فقلت أن شخصيته قوية و سلوكه حسن متمسك بالدين ، رفقاؤه صالحين.

له 3 صفات : الفقيه ، الرئيس الناثر و الشاعر. و بالاظافة الى الحديث عن انتاجه الشعري فذكرت ان ديوانه ضخم سماه البقية و المدرك يتضمن 2455بيت شعري+ مخمسة+ 15 موشحا، نوّع في الاوزان (البحر الطويل، الكامل ، البسيط، الخفيف، الرمل، الوافر، المتقارب، المجتث، الرجز، السريع).

أما معاداته لابن الخطيب نشأت عندما أخذ ابن زمرك منصب الوزارة فقد أخذ مكان أستاذه ابن الخطيب و هذا ما جعل ابن الخطيب ينتقم منه من خلال تصويره بأشنع الصورو كان رد ابن زمرك بأن يتهمه بالزندقة ثم بَعث سليمان بن داود من قتله خنقا في السجن سنة 776هـ.

وفي نهاية المدخل كان الحديث موصولا بوفاة ابن زمرك فشرحت الظروف التي أدّت الى موته قائلة :

أنّ تكرار الشكاوي حول الشاعر زمعاملته السيئة للنّاس أدّت الى ضعف العلاقة بين الشاعر و الملك وفوجئ ابن زمرك في أحد الأيام برواد الملك ببيته ليلا حاملي السيوف فجلدوه هو ومن معه وهذا كان على نظير بناته و أهله سنة 795هـ.

وافتتحت الفصل الأول بدراسةموضوعية متتبعة أهم الأغراض الشعرية المتناولة في ديوانه . أولا المديح : فالمديح من الأغراض الشعرية التي تناولتها القصيدة العربية فقد حظي باهتمام كبير من قبل الشعراء و يعرف بأنه تعداد لجميل المزايا ووصف للشمائل الكريمة واظهار للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا. وعند ابن رشيق أن الشاعر اذا مدح ملكا ان يسلك طريقة الايضاح و الاشادة وان يجعل ألفاظه و معانيه نقية غير مبتذلة .

أما الغرض الثاني فكان حول شعر النقوش فقد تفنن الخطاطون في شكل خطوطهم ومنحنياتها و لم يهتموا برسم الصور و التماثيل في أماكن العبادة لحرمتها شرعا. بينما تفنن الرسامون في رسم الصور على قصور الأندلس و هو عنصر جمالي غير مألوف في تسلق الشعر المنقوش و المزخرف على جدران بني الأحمر و التغني بأمجاد أصحابها. وتمثل الغرض الثالث في شعر الغزل الذي يحاكي مشاعر و عواطف الانسان ويعبّر عن فطرته البشرية التي أودعها الله تعالى فيه ، وهو من أبرز أغراض الشعر النسوي بالأندلس و قد حظي شعر ابن زمرك بقسط وفير من هذه الأغراض الغزلية لكن شعره كان مرافقا بالحياء وكلامه غير فاحش ولا مبتذل.

الغرض4 كان في الوصف فقد برع الشعر الأندلسي في الوصف براعة لا يقاس بها غيره فجال الأندلس بجبالها الخضر و سهولها اليانعة وجداولها المترقرقة ، وابن زمرك افتتن فعلا بالطبيعة الغنّاء لغرناطة و ضواحيها.

والرثاء كان الغرض الخامس و هو يعد نوعا من الألم لحبيب ارتحل و فارق الحياة وحسب ابن رشيق فالرثاء يحمل عدّة ظواهر منها التفجع ، الحسرة ، الألم ، الاستعظام الأسف. وابن زمرك أحد الناس الذين تحسّروا على فقدان أعز انسان عليهم فقد فقد الشاعر صاحب الفضل عليه الغنيّ بالله.

ولم يتوقف الشاعر عند هذه الأغراض وحسب بل انتقل الى أغراض أخرى كغرض التهنئة التي لها علاقة وطيدة بالأفراح و هي تعبير عن عواطف المشاركة بين الناس في مناسبات المسرّة و الابتهاج. أما غرض الخمريات فكان ضئيلا فمن خلاله حاول الشاعر اظهار ماهو جار في المجتمع فيصف بدقة كيفية الشرب وكيف هو شكل و لون هذا المشروب و يتحدث عن المغامرات الجارية بين الشاربين و حولهم القانيات تغنين و ترقصن. أما غرض الزهد و التصوف كاد ينعدم إذ كان الشاعر صاحب طموح شديد محب للسلطة وما تسمح به من مزايا هدفه الوحيد الاستمتاع بالحياة الدنيا وبلوغه لغايات مادية لا أكثر ولا أقل.

وآخر غرض تطرقت اليه في رسالتي هو غرض الاستعطاف و هو يختص بطبقة الملوك و الوزراء لما نالهم من نكبات ومحن فبعد العز و الرفعة و المقام الذي كانو فيه يجدون أنفسهم في مذلة فيلجؤون لاستمالة قلب المستعطف .

وتناول الفصل الثاني السمات الفنية في ديوان ابن زمرك فحاولت جاهدة التحدث عن لغة و أسلوب الشاعر مبتدئة بمعجمه الشعري و أدرجت تحته ألفاظ الطبيعة فقد استمد الشاعر معظم لغته من الطبيعة وهذا النهج سار عليه العديد من الشعراء الأندلسيين الذين احبوا الطبيعة و عشقوها حتى غدت كثير من ألفاظها تشغل مساحة واسعة كما اندرج تحت هذا المعجم ألفاظ الحزن و الألم فألفاظ الشاعر تبرز كل المواجع و الالم التي يعيشها الشاعر و تظهر لنا عمق الحب و الشوق و التلهف في كل المواقف المعاشة. أمّا أسلوبه المعتمد فكان التكرار فهذا الأخير يقوي من الصورة الشعرية و يضفي على القصائد جوّا عاطفيا غامضا .

وبعد هذا بينت مدى تأثر الشاعر بالنزعة الدينية و الأدبية فقد شكل كل من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف رافدا أساسيا من روافد ثقافة الكتاب الأندلسيين، بالاظافة الى الشعراء العرب .

وبعدها تطرقت للحدين عن الصورة الفنية و قسّمتها الى قسمان : صور بيانية (تشبيه، استعارة) و محسنات بديعية (طباق ، جناس).أما مجال الموسيقى فقد اندرج تحته : موسيقى داخلية (تصريع ، ترصيع) موسيقى خارجية (وزن ، قافية).

وختمت بحثي بأبرز النتائج المتوصل اليها وهي :

1. شهدت الأندلس تناقضا جليا في مظاهر حضارتها فمن جهة تسجل انحطاطا سياسيا و عسكريا ومن جهة ازدهارا ثقافيا و حضاريا.
2. رغم الحياة التي عاشها الشاعر الا أن هذا لم يمنع من تأهيله الى درجة الشعراء الفحول فدهاؤه و ذكاؤه و تواصله مع أعظم الشيوخ الأدباء هو السبب الرئيسي في نجاحه.
3. أغراضه الشعرية طرقت جميع الأبواب وكانت مزجا بين التقليد و التجديد.
4. تأثره بالنزعة الدينية و الأدبية أكسب شعره المتانة و الوضوح.
5. لغته كانت واضحة و بسيطة و دقيقة.
6. بناء قصائده على بنية ايقاعية محكمة تتوافق مع موضوعاته فمن الحور التي أكثر من استخدامها ، الكامل و الطويل و البسيط . كما اعتمد على أسلوب التكرار.